الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة العقيد آكلي محند اولحاج
-البويرة-
كلية الآداب و اللغات
قسم : اللغة ولأدب العربي

Ministère de L'enseignement Supérieur
et la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj-bouira-
Tasdawit Akli Muhend Ulhag-Tubirett-
Faculté des lettres et des langues

التخصص:

أدب عربي حديث و معاصر

تجليات التاريخ في رواية "ليالي الذئاب القطبية" للروائي مصطفى ولد يوسف.

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماستر.

إعداد:
زينب العارفي.

إشراف:
د. سعيدة تومي.

لجنة المناقشة:

الأستاذ:.....رئيسا.
الأستاذ:.....مشرفا ومقررا.
الأستاذ:.....ممتحنا.

السنة الجامعية 2023\2024.

بسم الله الرحمن الرّحيم

قال تعالى:

﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِّي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا (80) وَقُلْ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (81)﴾

سورة الإسراء، الآية: 80، 81.

إهداء

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

مهما تقدمنا وبلغنا ما كنا نحلم به علينا أن نتذكر من كانوا سندا لنا للوصول إلى المبتغى

ونرد لهم معروفهم ولو بهذه الكلمات البسيطة:

اهدي ثمرة هذا الجهد إلى من جعل الله الجنة تحت قدميها وشملتني بالرعاية والحنان،

أمي الغالية.

إلى من أمرني الله بطاعته والإحسان إليه، ومن أنار دربي وساعدني بالنفس والنفيس على

تجاوز عثرات الحياة،

أبي الغالي.

إلى من أتقاسم معه هموم الحياة وأفراحها

زوجي.

إلى أولادي

مهدي، مريم، أيهم ونور اليقين.

إلى جميع الأصدقاء والزملاء، ومن مد يد العون.

إلى جميع أساتذة قسم اللغة الأدب العربي.

شكر وعرفان

الحمد لله الذي لا أحق بالشكر منه سبحانه وتعالى، أن وفقنا ومنحنا الصبر والقوة، ويسر لنا إتمام هذا العمل المتواضع، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الحمد لله الواحد القهار، الحمد لله مكور الليل على النهار

والصلاة والسلام على من اتبع طريق الهدى محمد صلى الله عليه وسلم

بعد الشكر والحمد لله، وامتثالا لقول الحبيب المصطفى

"من لا يشكر الناس لا يشكر الله "

نرى من الواجب أن نسجل جزيل شكرنا وفائق تقديرنا لكل من أولانا معروفا بتوجيه أو نصيحة خلال إنجاز هذا العمل وأخص بالذكر الأستاذة المشرفة "**سعيدة تومي** " على مجهوداتها القيمة،

فقد كانت نعم المشرفة ونقول لها بشراك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الحوت في البحر والطير في السماء ليسبحن لمعلم الناس الخير", لقد سعيتِ وكان سعيكِ مشكورا

بارك الله فيك وجزاكِ الله عنا خير الجزاء.

نتقدم أيضا بجزيل الشكر إلى أساتذة كلية الآداب واللغات وإلى كل من يد المساندة في هذا البحث من قريب أو بعيد.

مقدمـــــــة

مقدمة

تعتبر الرواية من أهم الأجناس الأدبية التي لقيت رواجا كبيرا وواسعا بين القراء، كونها تطرح قضايا مختلفة ومواضيع متجددة، فهي تعالج الواقع بكل تفاصيله وتواكب سيرورة وأحاسيس المجتمع، ومنها الرواية الجزائرية التي فرضت لنفسها مكانة على الساحة الأدبية العربية والعالمية، من حيث شكلها ومضمونها.

تنطلق الرواية الجزائرية من الواقع الاجتماعي والسياسي للشعب الجزائري، فقد عبرت في مختلف فتراتها عن تجارب عميقة ووعي بالحاضر كما اتكأت على التاريخ باعتباره مقوما أساسيا من مقومات الهوية بعيدا عن جفاف مادته، فلطالما حاول الروائيون مساءلة التاريخ وتطعيم تجاربهم من خلاله، ووجدوا في استعراض التاريخ النضالي للشعب الجزائري ما يناسب توجهاتهم الأدبية، فألف في هذا الموضوع الكثير من الروايات ومن بينها "ليالي الذئاب القطبية."

وفي هذا البحث سنتناول صوت التاريخ وجمالية توظيفه في الروايات الجزائرية، وقد وقع اختيارنا على رواية "ليالي الذئاب القطبية" للروائي مصطفى ولد يوسف، وجاء موضوع بحثنا موسوما بـ: "تجليات التاريخ في رواية ليالي الذئاب القطبية."

ولعل من أهم الأسباب التي دفعتنا إلى دراسة هذا الموضوع، نذكر:

- رغبتنا في إثراء الدراسات الأدبية بموضوع مماثل، مما يساعد الباحثين للاستعانة به.

- تساؤلنا حول مدى حضور التاريخ في الروايات الجزائرية المعاصرة.

- قلة الدراسات الخاصة بهذه الرواية، وكذلك إعجابنا بأسلوب الروائي البسيط.

وبناء عليه جاءت إشكاليات بحثنا كالآتي:

ما علاقة الرواية التاريخ؟ وما الفرق بين الروائي والمؤرخ؟

هل توظيف التاريخ في الرواية بشكل حداثي أعطى للرواية لمسة جديدة؟

إلى أي مدى وفق الروائي في استحضار صوت التاريخ في الرواية؟ وكيف انعكس ذلك على شخصياتها وأحداثها؟

كما تسعى هذه الدراسة لتحقيق الأهداف التالية:

– الكشف عن أهم المحطات المهمة في التاريخ الجزائري والوقوف عليها.

– إلقاء نظرة على الروايات التاريخية المعاصرة ومدى إسهامها في تطوير الرواية الجزائرية.

– دراسة مدى حضور التاريخ في رواية "ليالي الذئاب القطبية."

ونظرا لطبيعة دراستنا، اقتضى الحال إتباع المنهج الوصفي التحليلي، لتحليل ووصف الحوادث الحوادث التاريخية كما هي في الواقع وصفا ملما ودقيقا، ومن ثم تفسيره وتحديد جوانبه، بالاعتماد على نماذج مختارة من الرواية التي نحن بصدد دراستها.

ولدراسة موضوع بحثنا اعتمدنا على خطة بحث تتكون من :مقدمة عرضنا فيها بشكل موجز سبب اختيار الموضوع وأهم أهدافه، والإشكالية المصاحبة له.

أما عن العرض فقسمناه إلى فصلين، بحيث جاء الفصل الأول تحت عنوان: " التاريخ وفن الرواية"، والذي قسم إلى ثلاثة نقاط، تم التطرق فيهم إلى مفهوم علم التاريخ والرواية أولا، ثم تعريف

الرواية الجزائرية والعلاقة بين التاريخ والرواية ثانيا، أما ثالثا، فتكلمنا عن الرواية الجزائرية من الواقع إلى المتخيل، بحيث وضحنا مفهوم الواقع والمتخيل والعلاقة بينهما، والفرق بين المؤرخ والروائي، وخلصنا ف الأخير إلى أهم ما ذكر سابقا.

أما الفصل الثاني وهو التطبيقي، فجاء معنونا ب " صوت التاريخ في رواية ليالي الذئاب القطبية"، وتضمن في أربع نقاط، بحيث انطلقنا في تحليلنا للرواية من دراسة العتبات النصية في الرواية، ثم التاريخ والمتخيل في الشخصيات الروائية ثانيا، أما النقطة الثالثة فخصصناها للكشف عن أشكال حضور التاريخ في الرواية، وآخر عنصر في هذا الفصل كان جماليات توظيف التاريخ في الرواية، لتتضح في الأخير أهم النتائج، والتي أدرجناها في الخاتمة.

ومن أهم المراجع التي اعتمدنا عليها لإنجاز بحثنا المتواضع نذكر: المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف لآمنة بلعلي، الرواية العربية واقع وآفاق لادوارد خراط، كذلك مقاربات في الرواية لحسين خمري، والرواية وتأويل التاريخ لفيصل دراج، ومقالات إبراهيم سعدي، ورشيد بن حدو وريمة كعبش، مع الاعتماد على بعض الرسائل الجامعية.

وكأي باحث فقد واجهتنا مجموعة من الصعوبات، لكن بفضل الله تعالى استطعنا تجاوزها، وتتمثل تلك الصعوبات فيما يلي:

– قلة المراجع والبحوث التي تناولت هذا الموضوع، خاصة تلك التي تخص صوت التاريخ وأساليبه في الروايات.

– ضيق الوقت من جهة وحجم الموضوع من جهة أخرى.

– صعوبة جمع المادة العلمية من المراجع، ومن ثم تفسيرها وتحديدها.

وفي الأخير نتوجه بجزيل الشكر إلى أستاذتنا المشرفة، التي لم تبخل علينا بالنصائح والتوجيهات، والتي كانت نعم الموجه لنا في اختيار المسار الأنسب لموضوعنا، وإلى كل من مد يد العون إلينا في إنجاز هذا البحث المتواضع.

الفصـــــل الأول: التاريخ وفن الرواية.

1- التاريخ وفن الرواية.

1-1 مفهوم علم التاريخ.

1-2 مفهوم الرواية.

2- الرواية والتاريخ في الأدب الجزائري.

2-1 تعريف الرواية الجزائرية.

2-2 العلاقة بين التاريخ والرواية.

3- الرواية الجزائرية من الواقع إلى المتخيل.

3-1 بين الواقع والمتخيل.

3-2 بين المؤرخ والروائي.

1- التاريخ وفن الرواية:

يعتبر علم التاريخ من أهم العلوم، التي يجب علينا الاطلاع عليها وفهمها حتى نرسم مستقبلنا بناءً على تجارب ماضينا، وقبل التطرق إلى مفهوم علم التاريخ ارتأينا تعريف التاريخ لغة واصطلاحا.

1-1- مفهوم علم التاريخ:

أ-لغة:

التاريخ في اللغة العربية هو ترجمة للفظ "istoria" بالإغريقية القديمة، أما عن "istoris" فهو لفظ ظهر نتيجة نشاط النهضة الفكرية الأدبية في الدول الاوروبية، ويقصد به استكشاف الأحداث الماضية التي تهم المواطنين، وهذا ما ورد في كتاب هيرودوت، وهاليكلوناسوس بحيث قال:" هذا عرض للبحث الذي أجراه هيرودوت ليقف حائلا دون أن تندثر الأعمال التي قام بها الناس خلال الزمن"[1]، وأصبحت الكلمة مقتصرة على معرفة الأحداث التي رافقت نمو هذه الظواهر، ولكن سرعان ما تطورت وولد عنها تعبير التاريخ بمعناه الواسع.

يعرف الجوهري التاريخ بقوله:" التاريخ تعريف الوقت، والتوريخ مثله: يقال أرخت وورخت واشتققته من الأرخ، وهي صغار الأنثى من بقر الوحشي، لأنه شيء حدث كما يحدث الولد".[2]

ويذكر الصولي أن :" تاريخ الشيء غايته ووقته الذي ينتهي إلى زمنه، وفي مشتق آخر يضرب مثلا: فلان تاريخ قومه، بما يقدمه من الأمور الجليلة، وما شاكلها"[3]، أي أن التاريخ هو إخبار القوم بالأحداث والوقائع والأخبار.

---

[1] روزختال، علم التاريخ عند المسلمين، تر: صالح احمد العلي، مؤسسة الرسالة بيروت ط2، 1983، ص16-17.

[2] الجوهري، مختار الصحاح، تح: احمد عبد الغفور عطار،ج1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1987، ص200.

[3] أبو بكر الصولي، أدب الكتاب، تح: احمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت،1994، ص 178.

وكذلك الجواليقي في كتابه "المعرب من الكلام الأعجمي" يقول :" يقال أن التاريخ الذي يؤرخه الناس ليس بعربي محض وإنما أخذه المسلمون عن أهل الكتاب".[1] وهو هنا ينفي أن التأريخ هو علم عربي خالص، بل يرجع أصوله إلى أهل كتاب.

أما ابن منظور في معجمه لسان العرب فيعرف التاريخ أنه :"مشتق من: أرخ، التاريخ، تعريف الوقت، والتوريخ مثله، أرخ الكتابة ليوم كذا: وقته والواو فيه لغة، وزعم يعقوب أن الواو بدل من الهمزة...وتأريخ المسلمين أرخ من زمن هجرة سيدنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم– ... أرخت الكتاب فهو مؤرخ وفعلت منه، أرخت أرخا وأنا أرخ الليث: والأرخ والإرخ والأرخي البقر، وخص بعضهم به الفتي منها، والجمع أراخ وإراخ، والأنثى أرخة وإرخة."[2]

نستنتج من التعاريف اللغوية السابقة أن كلمة التاريخ استعملت للتعبير عن الزمن والحقبة وتقترن بالحدث أو الوثائق المؤرخة للوقائع الهامة في تاريخ العرب.

ب– اصطلاحا:

التاريخ هو جملة الأحداث والوقائع والأحوال التي يمر بها الفرد أو المجتمع وهو دراسة الماضي وتسجيل مجرياته ونعني به تسجيل الأحداث التاريخية للماضي البشري وتدوينها كما وقعت بالفعل، وهذا ما يمكن أن نسميه التأريخ، وهو من هذه الناحية مرتبط بالاستوغرافية أي علم كتابة التاريخ.[3]

وجاء في كتاب مفاتيح علم التاريخ" للباحثة نجاة سليم محاسيس أن التاريخ هو "خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل: التوجس والتآنس والعصبيات وأضاف التقلبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشئ عن ذلك من الملك والدول

[1]أبو منصور الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، تح: احمد شاكر، ج1، دار القلم، دمشق، ط1، 1990، ص114.

[2]جمال الدين المكرم بن منظور، لسان العرب، ج1، دار صادر، بيروت، ط1، 1414هـ، ص85.

[3]طريف الخالدي، بحث في مفهوم التاريخ ومنهجه، دار الطبعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1982، ص7.

ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش، والعلم والصنائع وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعة الأحوال".[1]

وقد اتفق العرب على أن التاريخ هو رواية وتدوين كل الأحداث السابقة، أي أن التاريخ هو سرد ونقل لأحداث مضت، فعندما يكتب المؤرخون عن الأحداث التاريخية يقومون بنقل القصص والتفاصيل بطريقة معينة، تبرز أهم الأحداث والشخصيات والتطورات، ويستخدم المؤرخون الأدوات السردية والتعليقات والتحليلات والتفسيرات لتوضيح العبر المتخلصة من تلك الأحداث المنقولة، لهذا يمكن اعتبار كتابة التاريخ عملية إبداعية تشبه في كثير من الأحيان عملية كتابة الرواية.

كما أن توثيق التاريخ هو أكثر من مجرد قائمة بالأحداث السابقة بل هو "فعالية علمية من فعاليات المعرفة البشرية التي تتسع ساحتها لكل الشؤون، إلا أنها تسعى بصفة خاصة لرسم تطور المجتمعات البشرية عبر الزمن وعبر منهجية خاصة، نشأت ونمت مع الزمن وباحتكاكها المستمر في موضوعها، ويبدو هذا واضحا في متابعة تطور التاريخ عبر العصور مادة ومنهجا، أو بتعبير أدق متابعة تاريخ التأريخ."[2]

وبناء على ما ذكرناه سابقا فإن التاريخ يعنى به تسجيل أهم حوادث الأمم عبر مختلف العصور، وتحديد زمن وقوعها تحديدا دقيقا.

[1] نجاة سليم محاسيس، مفاتيح علم التاريخ، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2012، ص30.

[2] ليلى الصباغ، دراسة في منهجية البحث التاريخي، مطبعة خالد ابن الوليد، دمشق، سوريا، 1978، ص13.

ج- علم التاريخ:

التاريخ من حيث أنه علم يختلف عن العلوم الأخرى فهو "ليس علم معاينة أو تجربة ولكن علم نقد وتحقيق "[1]، فهو يعتمد على التحليل العميق للمصادر والمعلومات التاريخية المتاحة وتقييمها بشكل منطقي ومنظم، لفهم سياق الأحداث وتفسيرها بشكل صحيح.

وهو العلم الذي يعنى بالدرجة الأولى بدراسة بالحوادث أو الوقائع التي حدثت في الماضي أو هو العلم الذي يسعى لإقامة تتابع للأحداث التي وقعت بالفعل أو العلم الذي يختص بترتيب وتضييق سلوك الإنساني عبر الزمن الماضي، وثمة من يرى أن التاريخ سجل المكتوب للماضي أو الأحداث الماضية."[2]

حيث يهتم المؤرخون بتحليل وتفسير تلك الأحداث وتوثيقها، سواء كانت أحداثا سياسية، اجتماعية، ثقافية أو اقتصادية، وإنشاء تسلسل زمني لها وتحليل تأثيراتها وتفاعلاتها مع الظروف التي أحاطت بها في تلك الحقبة الزمنية.

ويعرف ابن خلدون التاريخ بقوله:" التاريخ فن يوقفنا على أحوال الماضيين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يروقه في أحوال الدين والدنيا."[3]

فعلم التاريخ هنا يقصد به ذلك العلم الذي يستخلص منه المجتمع أخبار القدماء ويتتبع أحوالهم والاعتبار منها.

---

[1] هرنشو، علم التاريخ، تر: عبد الحميد العبادي، دار الحداثة، بيروت، ط2، 1982، ص 18.

[2] نجاة سليم محاسيس، مفاتيح علم التاريخ، ص30.

[3] ابن خلدون، المقدمة، تح: عبد الواحد وافي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دار النهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 2006، ص291.

وهو" علم اجتماعي باعتباره محاولة منظمة لمعرفة وتحقيق الحوادث الماضية عن طريق ربط كل واحدة منها بالأخرى، والكشف عن مختلف تأثيراتها على تشكيل ومسيرة الحضارة الإنسانية، لذلك فعلم التاريخ لا يمكن فصله عن المنهج التاريخي وذلك باعتبار أن البحث والتقصي العلمي وسيلة موضوعية هدفها الوصول إلى نتيجة أو قانون أو قاعدة عامة فيما يسمى بالحقيقة التاريخية.[1]

ونجد من العلماء من يعترض على كون التاريخ علما منهم جيفونز، فتعقد الأحداث التاريخية يجعل من الصعب تحقيق درجة عالية من الدقة والثبات العلمي ولا يمكن اعتباره علما لأنه يعجز عن إخضاع الوقائع التاريخية لما يخضعها له العلم من المعاينة والمشاهدة والفحص والاختبار، وقد يكون المؤرخ متأثرا بتوجهات معينة تنعكس على تدوينه وتفسيره للأحداث على عكس العلوم الطبيعية التي تعتمد على التجارب المكررة والقياسات الدقيقة.

ويذهب البعض إلى القول أن محاولة اعتبار التاريخ علما له قواعده هو أمر مثير للسخرية مثلما يقول جيفنز:" من السخف أن نفكر في التاريخ على أنه علم بالمعنى الصحيح."[2]

وعلى الرغم من ذلك يعتبر الكثيرون التاريخ علما، فهو يستخدم منهجية وأساليب علمية في جمع البيانات وتحليلها والوصول إلى استنتاجات، يمكن للتاريخ من خلالها أن يساهم في فهم الحاضر وتوجيه المستقبل.

وقد أخذ التاريخ مكانه في مجموعة العلوم البشرية، وارتفع قدره وتقديره كعلم لأنه معادل في القيمة للعلوم الأخرى، وإن اختلف عنها في الشكل.[3]

---

[1] نجاة سليم محاسيس، مفاتيح علم التاريخ، ص30.

[2] هرنشو، علم التاريخ، ص2.

[3] قاسم يزبك، التاريخ ومناهج البحث التاريخي، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1990، ص33.

كما أن التاريخ يسعى لمعرفة ماضي البشرية منذ القدم حتى وقتنا الحاضر ومعرفة مختلف الحوادث التي عاشها الإنسان في شتى الأزمنة "التي رأى أنها تستحق البقاء لتستعملها الأجيال المتلاحقة وتستذكرها، أي هو جماع أحوال البشر، ما يقع منها وما يقع عليهم."[1]

وأخيرا فان التاريخ اثبت على مختلف الأزمنة انه متجدد ومستمر، وهو الدراسة العلمية للأحداث والتطورات التي حدثت في الماضي، فيهتم بتوثيقها وتحليلها وفهم العوامل التي أدت إلى حدوثها، وتأثيراتها على المجتمعات والثقافات والحضارات.

1-2- مفهوم الرواية:

تعد الرواية عملا قصصيا طويلا، وجنسا أدبيا متغير المقومات والخصائص، مما صعب من تقديم تعريف لها نظرا لتداخلها مع أجناس أخرى، لكن هذا لا يمنعنا من البحث عن مفهومها والتطرق لبعض التعاريف اللغوية والاصطلاحية التي أوردها الدارسون.

أ-لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور قوله:" أنها تعود إلى الجذر اللغوي (ر.و.ى) ، قال ابن سكين: يقال رويت القوم أرويهم، إذا استقيت لهم، ويقال من أين ريتكم ؟ أي من أين تروون الماء؟ ويقال روى فلان فلانا شعرا، إذا رواه له حتى حفظه للرواية عنه، وقال الجوهري: رويت الحديث والشعر فانا راو في الماء والشعر ، ورويته الشعر تروية أي حملته على روايته."[2]

ونجد تعريف آخر في المعجم الوسيط قولهم: "روى على البعير ريا: استسقى، روى القوم عليهم ولهم: استسقى لهم الماء، روى البعير، شد عليه بالرواء: أي شد عليه لئلا يسقط من ظهر البعير عند غلبة النوم، روى الحديث أو الشعر رواية أي حمله ونقله، فهو راو (ج) رواة، وروى الحبل ريا: أي

[1] هرنشو، علم التاريخ، ص9-6.

[2] إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، اسطنبول، ج1، ص201.

انعم فتله، وروى الزرع أي سقاه، والراوي : راوي الحديث أو الشعر حامله وناقله، والرواية: القصة الطويلة".[1] أي أن روى من الري والاستسقاء ونقل الحديث سواء كان شعرا أو قصة.

كما عرفها الخليل بن احمد الفراهيدي في كتابه العين: "الرواية رواية الشعر والحديث، ورجل كثير الرواية والجمع رواة".[2]

نستنتج من خلال التعاريف اللغوية السابقة أن الرواية لغة مشتقة من الفعل روى يروي ريا، ويعني النقل والحمل، ولهذا يقال رويت الشعر والحديث رواية أي نقلته وحملته.

إن للرواية معاني اصطلاحية كثيرة اختلف الباحثين والمفكرين في تعريفها نظرا لحداثتها ونضجها المستمر وهو ماسنتطرق اليه.

ب- اصطلاحا:

تعتبر الرواية سردا نثريا طويلا يصف شخصيات خيالية، وأحداث متسلسلة يهدف من خلالها المؤلف إلى ترسيخ القيم الإنسانية والحضارية في مجتمع ما، وقد يكون ابسط تعريف لها هو أنها:" فن نثري تخيلي طويل نسبيا، بالقياس إلى فن القصة."[3] وهي جنس أدبي يشترك مع الأسطورة والحكاية في سرد الأحداث التي تعكس الواقع، وتتخذ من اللغة النثرية تعبيرا لتصوير الشخصيات، والزمان والمكان.

ومما جاء في تعريفها نجد تعريف "لطيف زيتوني" في معجمه مصطلحات نقد الرواية ويقول "الرواية في صورتها العامة هي نص نثري تخييلي سردي واقعي غالبا يدور حول شخصيات متورطة

[1] جمال الدين المكرم بن منظور، لسان العرب، ص 280-281-282.

[2] الخليل بن احمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، ج2، 2003،ص 165.

[3] أمينة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيقي، دار الجوار للنشر، سوريا، ط1، 1987، ص21.

في حدث مهم وهي تمثيل الحياة والتجربة و اكتساب المعرفة، يشكل الحدث والوصف والاكتشاف عناصر مهمة في الرواية، وهي تتفاعل وتنمو وتحقق وظائفها داخل النص، وعلاقتها فيما بينها."[1]

والملاحظ لهذا التعريف ، يجد أن المعرف قد جعل الرواية تعتمد على التخييل ومحاكاة الواقع والتجربة الإنسانية، وتقوم على عناصر أساسية تتمثل في: الحدث والوصف والاكتشاف، وهي سمات تميز الرواية عن باقي الأجناس الأخرى.

ويعرفها ادوارد الخراط بقوله:" الرواية في ضني هي اليوم الشكل الذي يمكن أن يحتوي على الشعر والموسيقى، وعلى اللمحات التشكيلية، الرواية في ضني عملا حرا والحرية هي من السمات والموضوعات الأساسية ."[2]

أي أن الرواية هي شكل فني متعدد الأبعاد، حيث يمكن للكاتب دمج عناصر مختلفة مثل الشعر والموسيقى داخلها، وهي تعتبر عملا حرا يسمح للكاتب بالتعبير بحرية دون تقييدات.

ويرى ميخائيل باختين أن الرواية تحتوي على مختلف الأجناس التعبيرية فيقول:" أن الرواية تسمح بأن تدخل إلى كيانها جميع الأجناس التعبيرية، سواء كانت أدبية(قصص، إشهار، مقاطع كوميدية)، أو خارج المجال الأدبي(دراسات سلوكية، نصوص علمية، أو أدبية...) فإن أي جنس تعبيري يمكنه أن يدخل إلى بنية الرواية، وليس من السهل العثور على جنس تعبيري واحد لم يسبق له في يوم ما إن ألحقه كاتب أو آخر بالرواية".[3]

وهو ما يعني به أن الرواية جنس أدبي منفتح على باقي الأجناس الأدبية وهي لا تمثل نوعا أدبيا خالصا بل هي خطاب معين يجمع كل الخطابات الأدبية وغير الأدبية.

---

[1] لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة ناشرون، لبنان، ط1، 2002، ص 99.

[2] ادوارد خراط الرواية العربية واقع وآفاق، دار ابن رشد، ط1، 1981، ص303-304.

[3] ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، تر: محمد براءة ، دار الفكر، القاهرة ، دط، 1978، ص77.

وورد في تعريف آخر للرواية أنها:" هي أوسع من القصة في أحداثها وشخصياتها عدا أنها تشغل حيزا أكبر، وزمن أطول، وتتعدد مضامينها، كما هي في القصة، سيكون منها الروايات العاطفية، والفلسفية والنفسية والاجتماعية والتاريخية".[1]

من خلال هذا التعريف نجد أن الرواية تتسم بالشمولية والكلية في تناول مختلف الموضوعات.

أما نجوى الرياحي فتعرفها بقولها أنها :" ممارسة لغوية نثرية تعرض صورا عن الحياة وأوسع العلاقات بين الشخصيات وفق ضوابط فنية وأسلوب تشكيلي معينين يجعلان الرواية حريصة إما على المقاربة الواقع أو على جمالية التعبير وحسن الصياغة والتشكيل."[2]

يبرز هذا التعريف أن الرواية تعتمد على ضوابط وقواعد فنية في تشكلها وعرضها لصور الحياة والعلاقات بين الشخصيات.

ونجد من عرفها بأنها:" مجموعة حوادث مختلفة التأثير تمثلها عدة شخصيات على مسرح الحياة الواقعية، شاغلة وقتا طويلا من الزمن، ويعتبرها بعض الباحثين الصورة الأدبية النثرية التي تطورت عن الملحمة القديمة".[3] فالرواية هنا تعني مجموعة من الحوادث المتنوعة التي تؤثر بطرق مختلفة، وتمثلها عدة شخصيات على مسرح الحياة الواقعية خلال فترة زمنية معينة.

ومما سبق ذكره نستنتج أن الرواية هي فن أدبي يتميز بأسلوب خاص يعكس الواقع الذي يعيشه الإنسان، في شكل أحداث مترابطة تقوم بها شخصيات متعقدة في زمان ومكان ما، وتختلف عن باقي الأجناس الأدبية كونها منفتحة على كل الأنواع الأدبية الأخرى.

---

[1] عزيزة مريدن، القصة والرواية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1971، ص20.

[2] نجوى الرياحي، الوصف في الرواية العربية الحديثة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، ط1، 2007، ص294.

[3] أحمد أبو السعد، فن القصة، منشورات دار الشرق الجديدة، ج1، 1959، ص25.

2- الرواية والتاريخ في الأدب الجزائري:

2-1- تعريف الرواية الجزائرية:

في الوقت الذي كانت في الرواية العربية في أوج عطائها، كانت الجزائر تعاني من وطأة الاستعمار، لكن هذا لم يمنع من التواصل بين المشرق والمغرب، وتعتبر الرواية الجزائرية وليدة الرواية العربية" لأن الرواية الجزائرية جزء لا يتجزأ من الرواية العربية عامة، بحيث لا تنفصل عنها في حدود هذه العلاقة، فهي الأخرى وظفت التاريخ وصورت الوقائع وعبرت عن المجتمع الجزائري في مختلف مراحله واعتبرت رواية واقعية تاريخية بالدرجة الأولى."[1]

وهذا يرجع إلى تحلي الروائيين بالواقعية ومحاكاة محيطهم وجعله موضوعا لروايتهم.

وتوالت بعض المحاولات الإبداعية من طرف روائيين جزائريين آخرين ولكنها تبقى مجرد محاولات قصصية تندرج ضمن ما يمكن أن يطلق عليه بإرهاصات الرواية العربية في الجزائر وهي وإن كانت تخلو من نَفَسْ روائي غير أنها تفتقد الشروط الفنية التي يقتضيها جنس الرواية وهذا لأنها حديثة النشأة.

فقد " شهدت الرواية الجزائرية على غرار نظيرتها العربية نضجا فنيا وثورة كبيرة في لغتها السردية وأثبتت تميزها على الساحة الأدبية العربية بلغتها الجمالية التي تعبر أولا وأخيرا عن هويتها التي سلبت منها بعد المسخ، من أجل استرجاع السيادة المستلبة، وركزوا أكثر على اللغة باعتبارها من مكونات الهوية الوطنية." [2]

وقد مرت الرواية الجزائرية بمراحل نذكرها فيما يلي :

---

[1]ريمة كعبش، الرواية والتاريخ في النقد الجزائري المعاصر، مجلة التناص، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد الصديق بن يحي، جيجل، العدد 16، ديسمبر 2014، ص117.

[2]السعيد زعباط، السرد وسلطة اللغة في رواية كتاب الأمير، مسالك أبواب الحديد لواسيني الأعرج، مجلة النص، منشورات جامعة جيجل، العدد 10، ديسمبر 2011، ص254.

أ. مرحلة من 1940 إلى 1962:

تعتبر هذه المرحلة من انضج الفترات في المجال الأدبي، وطرحت العديد من القضايا الخارجة عن المألوف مثل: قضايا المرأة وخروجها من البيت ونضالها، "ونجد الدكتور مرتاض يعالج هذه القضية على الصعيد الفني، الروايات التي شهدت في هذه الفترة "غادة أم القرى " لأحمد رضا حوحو، التي يعدها واسيني الأعرج أول رواية كتبت باللغة العربية إلى جانب ظهور روايات أخرى رواية صوت الغرام لمحمد منيع، ورواية الطالبة المنكوب لعبد المجيد الشافعي."[1]

كما تعتبر هذه المرحلة التربة الأولى التي أسست عبرها أعمال أدبية يسعى الأدبيين من خلالها لرفع الوعي الجماهيري والنهوض الفكري.

ب. مرحلة السبعينات :

تميزت هذه الفترة بكثافة الأعمال الروائية وسعيها للتجديد ومسايرة للتحولات الاجتماعية، وتعتبر رواية ريح الجنوب "أول رواية جزائرية ظهرت بالعربية في عهد الاستقلال."[2] ، نظرا لتوفرها على مميزات وشروط العمل الروائي، ولأنها تطرقت لموضوع اجتماعي يتعلق بالمجتمع الجزائري وعاداته، ولا يمكن اعتبار المحاولات التي سبقتها ك: غادة أم القرى لأحمد رضا حوحو، والطالب المنكوب لعبد المجيد الشافعي، والحريق لنور الدين بوجدرة، إلا محاولات أولى لفن الرواية في الجزائر رغم أهميتها ومكانتها.

ونجد أيضا رواية" اللاز والزلزال " التي ألفها الطاهر وطار، ويعالج فيها قضية الخلافات السياسية، ورواية نهاية المس لعبد الحميد هدوقة بحيث عاد الكاتب إلى نفس الإطار وهو طرح قضية

[1]بن حمو كمال، المتخيل والتاريخ في الرواية الجزائرية، مذكرة ماستر، جامعة أبو بكر بلقايد، تخصص أدب عربي حديث، 2018-2019، ص18.

[2]أحمد مصايف، الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام، الدار العربية للكتاب، تونس، 1983، ص179.

النظام الإقطاعي من نهب واستغلال ومعارضة للعملية الإصلاحية وهذا مادعمه محمد مصايف في كتابه".[1]

كما برزت روايات أخرى مثل:

- رواية مالا تذروه الرياح لمحمد عرعار سنة 1972م .
- رواية طيور في الظهيرة لمرزاق يقطاس سنة 1983م .
- رواية الأجساد المحمومة لإسماعيل عموقات سنة 1982م .
- رواية جغرافية الأجساد المحروقة لواسيني الأعرج سنة 1978م .

ج. مرحلة الثمانينات:

كانت هذه الفترة معبرة عن التحول في نمط الأدب الجزائري واكتسابه تقنيات جديدة وخروجه عن النظام المألوف الذي يسيطر على الإبداع النثري نتيجة للتحولات التي حدثت في مجتمع الاستقلال.[2]

ومن الروايات التي ألفت نذكر:

- رواية ما تبقى من سيرة الأخضر حمروش سنة 1984م .
- رواية القصر والحوات للطاهر وطار سنة 1981م.
- رواية أوجاع رجل غامر صوب البحر لواسيني الأعرج سنة 1981م.
- رواية البزات لمرزاق يقطاش سنة 1983م.
- رواية العشق والموت في زمن الحراشي للطاهر وطار سنة 1983م.

[1] بن حمو كمال، المتخيل والتاريخ في الرواية الجزائرية، ص19.

[2] المرجع نفسه، ص20.

د. مرحلة التسعينات:

أثرت هذه الفترة على الأعمال الأدبية الإبداعية وسميت بأدب المحنة، نظرا لما مرت به الجزائر من سفك للدماء، فالوضع المأساوي الذي ساد في تلك الفترة هو الذي حفز كتابها نحو الخطاب المأساوي واستخدامه كوسيلة تعبيرية عن الواقع الجزائري المزري.[1]

وشغل موضوع الإرهاب والعنف الكتابة الروائية وسيطر عليها، خاصة أن " الرواية من بين كل الأنواع الأدبية الأخرى هي الأكثر التصاقا بالواقع والأكثر قدرة على التعبير عنه." [2] فوجد الكتَّاب أن الرواية هي أفضل جنس أدبي يعبر عن مآسيهم ويعكس واقعهم المؤلم.

كما برزت الرواية النسوية خلال هذه الفترة ومن بينهم: فضيلة فاروق في رواية بلا خجل، و زهرة الديك في رواية بين فكي وطن، وأحلام مستغانمي في رواية ذاكرة الجسد .

2-2- العلاقة بين التاريخ والرواية:

تعد علاقة الرواية بالتاريخ علاقة مترابطة ومتماسكة، فيوزع" علم التاريخ والرواية على موضوعين مختلفين، يتنطّق الأول الماضي ويسائل الثاني الحاضر، وينتهيان إلى عبرة وحكاية، بيد أن استقرار الطرفين منذ القرن التاسع عشر في حقلين متغايرين لم يمنع عنهما الحوار، ولم يذكر العلاقة بين التاريخ والإبداع الأدبي".[3]، أي أن الرواية والتاريخ على الرغم من اختلافهما من حيث الموضوع والكتابة، فالرواية تعكس لنا الواقع كما هو، في حين أن التاريخ يستقصي الماضي ويبحث عن الحقيقة.

---

[1] آمنة بلعلي، المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، (من التماثل إلى المختلف)، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر،ط2، 2011، ص 79.

[2] إبراهيم سعدي، دراسات ومقالات في الرواية، منشورات السهل، 2009، ص64.

[3] فيصل دراج، الرواية وتأويل التاريخ، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 2004، ص17.

فعلى التاريخ أن يقبل بترك ثوابته وصرامته عند عتبات الرواية ويحتمي بالنسبية والهشاشة التي تسبغ الفعل الروائي الذي لا يرتكن أبدا إلى اليقين، فالتاريخ مثله مثل الرواية تعرض للخلخلة وذلك إثر هبوب رياح ما بعد الحداثة عليهما.[1]

فالرواية يمكن أن تكون وسيلة لإعادة تفسير الأحداث التاريخية وتوثيقها في مختلف الفترات الزمنية مما يسهم في فهم أعمق للتاريخ والمجتمع.

والرواية بطبيعتها" انجاز تاريخي من انجازات أوروبا، وتاريخها لصيق ومواز لتاريخ الأزمنة الحديثة التي أفرزت حالة إنسانية منقسمة على نفسها، وذلك حينما اختزلت الإنسان الى مكون عقلي محض، وأعلت من شأنه بوصفه كائنا مفكرا كما خلصت لذلك فلسفة ديكارت، وهذا الاهتمام يبعد واحدا من إبعاد الإنسان، يطمس كينونته ويجردها من سماتها المتنوعة، وكتحد لهذا الإغفال والاستبعاد الذي صار أمرا واقعا بسبب شيوع العقلانية الصارمة، ظهرت الرواية الأوربية مع ثربانتس من اجل استكشاف هذه الكينونة ".[2]

وولدت الرواية لتكون تعبيرا يعكس حجم المعاناة للطبقات الضعيفة في قالب ساخر فهي ذلك الفن الذي يؤرخ للأحداث والوقائع المخفية التي تعجز الأنماط النثرية الأخرى عن ملامستها ونقلها بتلك الواقعية.

كما أن الرواية تجاري التاريخ دون تقليده، فالروائي لا يجد حرجا في كسر بعض الأحداث التاريخية وتفسيرها بما يتوافق مع سرده لكن بالنسبة التاريخ فتشكل الموضوعية والنقل الحرفي له هاجسا للمؤرخين، لذلك تختلف الأولويات بينهما.

[1] كمال بن حمو، المتخيل والتاريخ في الرواية الجزائرية، ص62.

[2] إبراهيم عبد الله، موسوعة السرد العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، لبنان، ج1، 2008، ص 405.

والتاريخ أحيانا لا يركز على الحياة المخفية والبسيطة لطبقات المجتمع، لأنه يرى عدم وجود قيمة لذكرها فليست الحدث الأكبر، أما الرواية فتركز عليها وتنقلها ، وهي" تنزع بها المعنى إلى كتابة تاريخ الذين لا يكتب تاريخهم احد، الذي يتسع للمشعوذ واللص والعاشق والمخذول والمومس والقاضي والفاسد والأخلاقي ، المقهور والسجين، الذي يبوح بأوجاعه في زنزانة مغلقة".[1]

فالرواية تبدأ وهي تعترف بالمساواة بين البشر، تتقبل المحترم والمنحرف، الحكيم والجاهل، وتهتم بسرد حياة الأشخاص العاديين والتجارب اليومية التي قد لا يوليها احد اهتماما، وتسلط الرواية الضوء على الجوانب العادية من حياة الناس، وتكشف عن التفاصيل والعواطف والتحديات التي يواجهونها .

إن العلاقة بين الرواية والتاريخ تبدو شائكة، لكن التمعن فيها يجعلنا نستكشف وجود قطبين أساسيين في قيامها هما التخييل والحقيقة، ففي مجال التخييل يستبعد البطل التاريخي ويضع الروائي نفسه بدلا منه، وهذا الشكل الروائي هو شكل تخييلي إبداعي سيقدم حقيقة فنية اجتماعية تعبر عن صدقها الفني بأساليب ثلاثة معروفة هي: الامتناع، الإقناع، والتأثير، وهي وسائل أسلوبية معروفة في النقد الأدبي.[2]

ونجد في الأدب الجزائري علاقة ترابط بين الرواية والتاريخ، فالمجتمع الجزائري عاش أكثر من قرن تحت وطأة الاستعمار والمعاناة، فثار واستقل وبقيت آثار التمرد والثورة ظاهرة على تفكيره، مما دفع الروائيين إلى التأريخ لتلك الفترة بشكل فني وجمالي.

وقد حضر التاريخ بشكل مباشر في الرواية الجزائرية، ونقل لنا الروائي من خلالها حقائق لم يتحدث عنها احد، ومن هؤلاء الكتاب نجد: ثلاثية الجزائر لمحمد الديب التي عايشت الثورة الجزائرية ونقلت أدنى تفاصيلها، ونجمة لكاتب ياسين التي زاوجت بين الرمز والتاريخ، وثلاثية مولود فرعون" الأرض

[1] فيصل دراج، الرواية وتأويل التاريخ، ص125.

[2] كمال بن حمو، المتخيل والتاريخ في الرواية الجزائرية، ص65.

والدم"، وابن فقير والدروب الوعرة التي أرخت لفترة ما بعد الثورة لتعبر عن طبيعة المجتمع القبائلي، ووصف عاداتهم وتقاليدهم وكذا التعايش السلمي بين الجزائريين والفرنسيين في ذلك الوقت".[1]

ومع التطور الحاصل أصبح الكتاب الجزائريين يوظفون التاريخ بشكل متخيل لمعالجة قضايا المجتمع فنجد روايات واسيني الأعرج كذاكرة الماء، وشرفات بحر الشمال والأمير، وعز الدين جلاوجي وأحلام مستغانمي وعبد الملك مرتاض، إضافة إلى كتاب آخرين سخروا أقلامهم للحديث والدفاع عن القضايا التاريخية التي تهم المجتمع ككتابات ياسمينة خضرة.

لم يكن التاريخ جديدا على الكتاب الجزائريين، بل عاشوه وشاهدوه بما فيه من المآسي وأحزان، فكان ذلك نقطة انطلاق لكتابة التاريخ الجزائري ومصدر إلهام لهم، مما جعل الرواية الجزائرية تحرز تقدما كبيرا وتمزج بين واقع معاش مليء بالمآسي وبين المتخيل الروائي."[2]

ومعظم الكتاب الجزائريين وثقوا جرائم الاستعمار ونقلوا تاريخ بلادهم، ومزجوا بين تاريخ الاستعمار في الجزائر وقصص أخرى في قالب يجذب القارئ ويغذي أفكاره، كأن يسرد الراوي قصة غرامية في إطار حدث تاريخي.

وبالتالي فإن العلاقة بين التاريخ والرواية عامة هي علاقة تكاملية، فالروايات تعكس قضايا وأحداث تاريخية، وتساهم في توثيق وفهم الثقافات والمجتمعات والتحولات التاريخية وأثارها على الأفراد.

[1] يحياوي سامية، جدلية الواقعي والجمالي في الرواية الجزائرية، رواية الطوفان مرتاض مالك، جامعة 20 أوت 1955، سكيكدة، ص31.

[2] بلغربي خديجة، زنيق نريمان، توظيف التاريخ في رواية رماد الشرق لواسيني الأعرج، مذكرة ماستر، جامعة محمد الصديق بن يحي، جيجل، تخصص أدب عربي حديث، 2020-2021 ،ص 32.

3- الرواية الجزائرية من الواقع إلى المتخيل.

3-1-بين الواقع والمتخيل:

عرفت الرواية الجزائرية تطورا ملحوظا، وأصبحت تحمل في طياتها أحاسيس وهموم وصراعات الإنسان الجزائري مع واقعه ومختلف تجاربه الحياتية، كما أنها تعكس هوية الكاتب وانتمائه القومي، بحيث يتخذ من الأحداث التاريخية عنصرا مهما في إبداعاته ويتجاوزه أحيانا إلى توظيف خياله.

أ- تعريف الواقع:

لغة: جاء في لسان العرب:" وقع الشيء ومنه يقع وقعا ووقوعا: سقط، والواقع: الذي رجليه من الحجارة والواقع والواقعة: الداهية النازلة من صروف الدهر".[1]

كما ورد في معجم مقاييس اللغة لابن فارس قوله:" الواقع : من وقع الطائر، ويراد انه قد ضم جناحيه فكأنه واقع بالأرض، ويقال : وقع الشيء من يده بمعنى سقط ووقع فلان في فلان وأوقع به، ووقع الغيث سقط متفرقا، وأما الذي حكاه أبو عمرو أن الوقع: المكان المرتفع من الجبل فكأنه سمي به لان الذي يعلوه يخاف أن يقع منه ."[2]

نستنتج من خلال التعاريف اللغوية السابقة أن كلمة الواقع استعملت للتعبير عن السقوط والوقائع.

---

[1]جمال الدين المكرم بن منظور، لسان العرب، ص260.

[2]أبو الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1982، ص134.

اصطلاحا: استعمل مصطلح الواقع في ميدان الأدب وبالأخص في الرواية، بحيث أصبح الكتاب يستقون مادتهم الأولى من الواقع ويصوغونها وفق رؤيتهم الإبداعية، فالرواية ليست نقلا للواقع فحسب، فنا يصور أحداثا حقيقية تتسم بالجمالية.

وقد عرفه حسين خمري بأنه:"معطى حقيقي، وموضوع حضوري يمكن أن يدرك بالحس وتلمس آثاره بالملاحظة العينية."[1] أي انه مجموعة من الظواهر والأحداث الفعلية التي تحدث في العالم، وهو معطى حقيقي لا يمكن إنكاره، وموضوع حضوري يمكن للأفراد تجربته مباشرة، سواء بالحس والتلمس في إشارة إلى حواس الإنسان التي تساعده في التفاعل مع من حوله من ظواهر، أو بالملاحظة العينية من خلال التقاط وملاحظة الأحداث في الواقع وتحليلها.

كما أورد عبد العاطي شلبي تعريفا له بقوله:" أن اللغة العربية لا تعرف لفظا اضطربت دلالاته وتنوعت مفاهيمه مثل لفظة ريالزم، بسبب أصلها الاشتقاقي الذي هو واقع فأحيانا انفهم من الأدباء كتاباتهم في الأدب الواقعي يقصدون به ذلك الأدب الذي يصف حياة الفرد والجماعة مسجلا الوقائع بغاية الأمانة عكس الرومانسي، فيصبح الشعب وما يعانيه مصدر الهام الأديب."[2]

أي أن الأديب مرآة لمجتمعه، يصور حياتهم وهمومهم وعاداتهم وأفكارهم بمنتهى الشفايفية والأمانة، وهذا ما يسمى بالأدب الواقعي الذي يجعل من قضايا المجتمع مادته الأولى.

نتوصل من خلال التعاريف السابقة أن الواقع يعني الحقيقة التي يعيش فيها الجميع ويتعايش معها فلكل مجتمع واقعه وسمات تميزه عن غيره من المجتمعات.

---

[1] حسين خمري، مقاربات في الرواية، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2002، ص43-44.

[2] عبد العاطي شلبي، فنون الأدب الحديث، منحل الاراريطة، الإسكندرية، 2005،ص 48.

ب- تعريف المتخيل:

لغة: لم ترد كلمة متخيل بهذه الصيغة كمصطلح في قواميس اللغة وإنما جاءت بصيغة "خال".

نجد في قاموس محيط المحيط:" خال الشيء: يخاله خيلا وخيلا وخيلة وخالا وخيلانا ومخيلة ومخالة...وخيل إليه أنه كذا على المجهول توهم انه كذا...وتخيل له تشبه، يقال : تخيلته فتخيل لي،والخيال: الظن والوهم، وما تشبه لك في اليقظة والحلم من صورة يذكر ويؤنث ... وفي الكليات الخيال مرتع الأفكار، كما أن المثال مرتع الأبصار، والخيال قد يقال للصورة الباقية من المحسوسات بعد غيبة في المنام وفي اليقظة، والطيف لا يقال إلا في ما كان حال النوم."[1] وتعني التوهم والظن والتشبه، كأن يتشبه للإنسان شيء في حلمه أو يقظته.

اصطلاحا: نقصد بالمتخيل ذلك الأثر المادي الناتج عن الخيال فهو:" معطى مادي يدل على الخيال ويقوم شاهدا عليه، ومن ثم يقدم بوصفه جسرا للعبور إليه والاقتراب منه... إنه صورة الخيال وقد تحولت من مستواها الذهني المجرد والباطني فتشكلت في قالب تمثيلي ومظهر إيحائي ملموس."[2]

والملاحظ في هذا التعريف أنه يعتبر المتخيل معطى مادي، فما يتخيله الإنسان ليس مجرد شيء ذهني فقط بل يمكن اعتباره جزءا من الواقع المحيط به، ويوضح أيضا كيف يتم تحويل الأفكار والتصورات الخيالية من مستوى العقل الذهني النقي إلى صور وأشكال ملموسة وملحوظة بواسطة الحواس البشرية يمكن استشعارها والتفاعل معها.

ونجد الباحثة آمنة بلعلي تعرفه بقولها: "هو وسيلة لإثارة أشياء غير موجودة بواسطة اللغة أو محاكاة أشياء موجودة، أو إثارة نوع من الاتهامات أو التمثيليات التي تتوجه إلى الأشياء وتربطها

[1] بطرس البستاني ، محبط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت ، دط، دس، ص 264.

[2] يوسف الإدريسي، الخيال والمتخيل في الفلسفة والنقد الحديثين، الملتقى ، الدار البيضاء، ط1، 2005، ص7-8.

بالخطة التي تمثلها فيها بالذات فتصبح عملا مقصودا يجسد وعيا بغياب أو اعتقاد بإيهام"[1]، فالمتخيل عندها يدل على الإيهام وإثارة الأشياء الغير موجودة عن طريق اللغة.

وفي تعريف آخر يقول رشيد بن حدو:" أما المتخيل فإنه يحيل على عوالم لا تحقق وجودها إلا في مخيلة المؤلف والقارئ وهذا المتخيل هو مجال إنتاج الصور عموما، أي مجموع منتجات ملكة التخيل أو المخيال انه مستودع التصورات والرموز والأساطير والطقوس والقيم التي تكيف سلوك الأفراد واستجاباتهم، أي دينامية تخييلية تفارق المعنى الطبيعي والإنساني ومن هذه الدينامية بالذات ينبثق الإبداع الشعري، فيمتلك المتخيل بذلك وجودا لا واقعيا، فهو مختلف عن الواقع وينتج عن الحلم والاستلهام للترميز إلى ما يرمي المؤلف إليه"[2]، والمتخيل بالنسبة له هو أساس العملية الإبداعية الذي يضفي عليها جمالية.

كما يعرف بأنه بناء ذهني خفي لا يدرك إلا بإعمال الفكر والنظر عدا المواد التعبيرية التي يستعملها في الجمل والحروف والكلمات."[3] فالخيال لا يمكن لأي شخص أن يدركه إلا من خلال بذل جهود فكرية وتأملية، والأمر يتطلب قدرة على استكشاف الأفكار وتفسيرها وتحليلها.

وبالتالي فإن المتخيل ليس محاولة إجرائية للتحليل لأنه لا يمتلك قوانين ثابتة حتى في فترة واحدة، وإنما هو منطق أيديولوجي في القراءة والكتابة على حد سواء، ولقد بات واضحا انه لا يمكن استبعاد المنطق الأيديولوجي في منطق المتخيل في مرحلة السبعينات وبداية الثمانينات.[4]

---

[1] أمينة بلعلي، المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، ص17.

[2] رشيد بن حدو، الفضاء الروائي بين الواقع والمتخيل، المجلة العربية، الدار العربية للنشر والترجمة ، العدد527، الرياض، السعودية، 2010، ص67.

[3] حسين خمري، فضاء المتخيل، ص14.

[4] آمنة بلعلي، المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، ص55.

ت- بين الواقع والمتخيل:

اكتسبت الرواية الجزائرية الحديثة سمات الراهنية، وارتادت التحولات الاجتماعية والفكرية مادام هذا الجنس التعبيري هو الشكل الأمثل لاستيعاب ما هو خارجي وما هو داخلي، فأصبحت الرواية الجنس الأدبي الأقدر على الارتفاع بالتعبير عن الكيانات بظواهرها وبواطنها، إلى حدود قصوى من زوايا متباينة تحقق التمايز."[1]

فهي من أكثر الأنواع الأدبية تعددا في التعبير، حيث يمكن للكتاب إبراز الشخصيات والمجتمعات بكل تفاصيلها وظواهرها الخارجية والداخلية، مما يسمح بإنشاء صور واقعية وملموسة للشخصيات والمواقف، واستكشاف عمقها وتطورها عبر الزمن.

والرواية لحظة جدلية تستمد قوتها وتأثيرها من اللحظة المجتمعية الرافضة لتشييء الوعي، كما تستمد شرعيتها من كونها شكلا لا نهائيا قابلا للاكتمال، ومفتوحا على مجموع الأشكال التعبيرية، تسعى إلى التقاط التحولات الخارجية والداخلية للكائن البشري، ومفتوحة على كافة الاحتمالات فللمخيلة دورا آخر في ابتداع عالمها، الذي له رؤاه نحو العالم الواقعي."[2]

وقد يتداخل المتخيل والواقع، على اعتبار أن الواقع هو الحياة التي عاشها أو يعيشها الروائي بينما المتخيل هو ما يصطنعه لنفسه من أحداث.

---

[1] صديقي حفصة، الواقع المتخيل في رواية "رمل الماية"، مذكرة ماستر، جامعة عبد الرحمن ميرة، بجاية، تخصص أدب عربي ، 2014-2015، ص22.

[2] شعيب حليفي، شعرية الرواية الفانتاستيكية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر،ط2، 2009، ص10-9.

ويرى البعض أن الكتابة الإبداعية مرهونة دائما بالواقع المجرد ومنفعلة به وهذا يقضي إلى أن العلاقة بين الإبداع والواقع أمر حتمي[1]، فالعلاقة بين الواقع والمتخيل هي علاقة حتمية، فالأديب ينطلق من واقعه ليشكل نظرته الإبداعية الممزوجة بالواقع و الخيال.

نال موضوع العلاقة بين الواقع والمتخيل اهتمام الكثير من الباحثين والمفكرين، فالواقع يعكس الظواهر والأحداث التي تحدث في العالم الخارجي وهو المصدر الأساسي للمعرفة والتجربة الإنسانية، بالمقابل يعبر المتخيل عن الأفكار والتصورات الخيالية التي يبتكرها الإنسان ، لذلك يمكن للواقع أن يلهم الخيال ويؤثر في تشكيله، ومن جانب آخر يمكن للمتخيل أن يؤثر في تفسير الواقع وتحليله، وبشكل عام يعمل الواقع والمتخيل معا لتشكيل رؤية شاملة للعالم وفهم أعمق للظواهر وللبشر أنفسهم.

3-2-بين المؤرخ والروائي:

اختلف الكثير من الباحثين في تحديد الفروق بين المبدع، الروائي والمؤرخ رغم تباينهم فيما بعض، وتميز كل واحد منهم في أسلوبه وتعبيره، "فالمؤرخ ينشد الحقيقة ومن ثم فهو يتسلح بمنهج التاريخ ذي الصفة الإستردادية مسترشدا _ومن بينها الفن_ في محاولة إعادة تصوير الماضي بقدر ما يستطيع من الدقة ثم يحاول تفسير هذا الماضي من خلال الكشف عن العلاقة السببية بين الظواهر التاريخية، أما الروائي فهو ينظر ببصارته نحو الماضي يهدف إلى تحقيق التواصل الإنساني"[2]، أي أن المؤرخ يبحث عن الحقيقة ويتتبع أثرها عن طريق المخطوطات والوثائق الأصلية، أما الروائي فيتتبع أحاسيسه وعواطفه المتعلقة بهذا التاريخ، وينطلق منها في تصوير التجارب الإنسانية الخاصة.

[1]محمد داود فائزة، على أجنحة الخيال وفي أدغال السرد، وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط1، 2014، ص120.

[2]حسن سالم هندي إسماعيل، الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث، دار حامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2014، ص17.

كما يتمتع المؤرخ بالقدرة على تحليل الأحداث وتفسيرها بناءا على الأدلة المتاحة بينما يستخدم الروائي هذا التحليل لخلق قصة ذات أبعاد متعددة لتوجيه رسالة معينة.

ويقول قاسم عبده في هذا الصدد : ليست مهمة الأديب توجيه المجتمع فقط بل مهمته ابعد من ذلك، فالمطلوب منه إحداث اثر في المجتمع من خلال أدبه"[1]، أي أن الروائي يتجاوز مهمة إصلاح المجتمع إلى مهمة إقناعه على تبني أفكاره الموجودة في روايته.

أما المؤرخ " فلم تعد وظيفته أن يحكي ماذا حدث؟ وإنما أن يفسر لماذا حدث ما حدث؟ ويستخدم أدوات البحث العلمي والصرامة المنهجية...وكان على المؤرخ بالتالي أن يكون راويا يحكي ما حدث وهو هنا اقرب ما يكون إلى الروائي."[2] ، وهنا يظهر الفرق مع الروائي الذي يتناول الحدث والشخصيات من زاوية معينة تعبر عن موقفه الاجتماعي والفكري مستخدما أدواته الفنية (الحوار، والرمز، واللغة)، حتى يتواصل مع القراء الذين يوجه لهم الخطاب.

ولا يستطيع المؤرخ على الرغم من أنه يسرد أحداثا أن يكون روائيا، كما أن الروائي لا يستطيع أن يكون مؤرخا، فكل واحد منهما مستقل بمهنته عن الآخر ويختلفان في طريقة سرد الأحداث فإذا كان المؤرخ يلتزم الحقيقة فيسرد أحداثا كما شاهدها أو كما رويته، فان الروائي يعتمد على التخييل في سرد الأحداث فيحذف ويضيف ويقدم ويؤخر"[3]، فلكل منهما مهمته وطريقته في نقل الوقائع والحقائق.

[1] ريمة كعبش، الرواية والتاريخ في النقد الجزائري المعاصر، ص170

[2] قاسم عبدو قاسم، بين الأدب والتاريخ، دار عين للدراسة والبحوث الإنسانية والاجتماعية، دب، ط1، 2007، ص15.

[3] محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2002، ص101.

فالروائي " يرسم الوجود أثناء اكتشافه لإمكانيات غير معروفة تعكس أعماق العالم الإنساني"[1]، أما المؤرخ فيذهب إلى الماضي مكتفيا به، ويصيّر الروائي الماضي لحظة راهنة فلا رواية إلا بالراهن ولا وجود لروائي يبدأ من الآن."[2]

مما يؤكد على أن العلاقة بين الروائي والمؤرخ تعتمد على التعاون والتكامل، حيث يستفيد كل مهما من المهارات والتقنيات التي يتمتع بها الآخر، فالرواية تساعد في فهم وتوثيق التاريخ وتقديمه بشكل مفهوم وثير للاهتمام.

وفي **آخر الفصل**، نخلص إلى أن الرواية الجزائرية مرت بعدة مراحل حتى وصلت إلى شكلها الحالي، فقد ارتبطت بالتاريخ منذ بدايتها، وهذا راجع إلى الخلفية التي تمتع بها كتابها أمثال: مولود فرعون، آسيا جبار، محمد الدين...الخ، فقد عكسوا معاناتهم ومآسيهم خلال الاستعمار الفرنسي على كتاباتهم، ونقلوا واقع أمة مضطهدة في قالب روائي محض، ومع مرور الوقت أضفوا على تلك الوقائع جزءا من الخيال حتى يجاروا الزمن والأجيال الجديدة.

[1]محمد القاضي، الرواية والتاريخ، دار المعرفة، تونس، ط1، 2008، ص11.

[2]فيصل دراج، الرواية وتأويل التاريخ، ص366.

الفصل الثاني: صوت التاريخ في رواية ليالي الذئاب القطبية.

1- العتبات النصية ومساءلة التاريخ.

1-1 عتبة الغلاف.

1-2 عتبة العنوان.

2- التاريخ والمتخيل في الشخصيات الروائية.

2-1 الشخصية الرئيسية.

2-2 الشخصية الثانوية.

3- أشكال حضور التاريخ في الرواية.

3-1 التاريخ الجزائري (8ماي 1945).

3-2 التاريخ العالمي (الحرب العالمية الثانية).

4- جماليات توظيف التاريخ في الرواية.

1- العتبات النصية ومساءلة التاريخ:

1-1- عتبة الغلاف:

إن أول ما يقابل القارئ عند حمله لرواية ما هو غلافها، فهو" الشيء الذي يلفت انتباهنا بمجرد حملنا ورؤيتنا للرواية وهو العتبة الأولى من العتبات الهامة، وتدخلنا إشارته إلى اكتشاف علاقات النص بغيره من النصوص المصاحبة."[1]

أي أن الغلاف هو أول عتبة من عتبات النص التي تظهر قبل بداية الرواية أو القصة، وتعطي فكرة للقارئ حول ما تتضمنه وهو بمثابة بوابة للمحتوى الذي ينتظر القارئ استكشافه، كما تلعب عتبة الغلاف دورا مهما في فهم العمل الأدبي وعلاقته بالأعمال الأخرى.

وقد اعتبره حميد الحميداني في كتابه "بنية النص السردي"، أنه الحيز الذي تشغله الكتابة بوصفها أحرفا طباعية على مساحة الورق ويشتمل طريقة تصميم، ومن خلاله يعبر السيميائي إلى أنواع النص الرمزي والدلالي"[2]، فالغلاف هو تلك اللوحة الاشهارية التي تحاول الترويج للرواية، وحلقة وصل بين المضمون والقارئ.

ومن هنا يمكن القول بأن الغلاف هو عنصر موجه للقارئ يساعده في فهم النص والتعمق بشكل أفضل واكتشاف جماليات خطابه، "فالخطاب الغلافي من أهم عناصر النص الموازي التي تساعدنا

[1] حسين حميد، تداخل النصوص في الرواية العربية (بحث في نماذج مختارة)، مطابع الهيئة المصرية، مصر، دط، دت، ص148.

[2] حميد الحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1991، ص40.

على فهم الأجناس الأدبية بصفة عامة، وذلك على مستوى الدلالة والبناء، التشكيل والمقصدية، فصفحة الغلاف إذن هي مرآة عاكسة لمتن النص وفيها يحدد الجنس الأدبي للنص."[1]

والملاحظ لهذا القول يجد أن الخطاب الغلافي يعمل على توجيه القارئ ولفت انتباهه نحو محتوى النص، فهو يحتوي على معلومات تتعلق بمتن الكتاب أو الرواية، يستطيع القارئ من خلالها إنشاء توقعات حول ما سيجده داخل الكتاب.

ويمكن التمييز بين نوعين من الغلاف: الغلاف الأمامي والغلاف الخلفي.

أ- **الغلاف الأمامي:** وهو العتبة الأساسية للكتاب، والتي تقوم بوظيفة افتتاح الفضاء[2]، وهو متعدد الأنواع:[3]

- **الغلاف الفاخر:** الذي لا يحتوي على أي لوحة.

- **الغلاف التجريبي:** ويهدف للتعبير عن الشكل التقني المجرد المحسوس، وهذا لا ينطوي على أي واقعية.

- **لوحة غلاف واقعية:** تعبر عن حدث أو مجموعة الأحداث يقدمها المتن.

[1] مجموعة من المؤلفين، أبحاث في اللغة العربية والأدب الجزائري، مجلة المخبر، مجلد 17، ع 01، 2021، ص 285-296.

[2] خليل شكري، القصيدة السير ذاتية، بنية النص وتشكل الخطاب، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010، ص130.

[3] إيمان بن عمر، العتبات النصية في كتاب "الجيد حقيبة الشعر" للكاتبة غادة السمان، مذكرة ماجستير، جامعة حمه لخضر، الوادي، الجزائر، 2019-2020، ص28.

ب- الغلاف الخلفي: وهو العتبة الثانية والخلفية الورائية للكتاب ووظيفتها عكس وظيفة الغلاف الأمامي، وهي إغلاق الفضاء الورقي.[1]

1-1-1- دلالة عتبة الغلاف الأمامي:

جاء غلاف رواية "ليالي الذئاب القطبية" كعتبة نصية أساسية تمكن القارئ من الغوص في دلالات النص الروائي، من خلال ما تحتويه هذه العتبة من معلومات ك: العنوان، اسم الكاتب، دار النشر، الصورة الفنية التي تأتي في الواجهة، بحيث تتناسق هذه العناصر فيما بينها بشكل جمالي يغري القارئ ويشوقه للتعرف على خبايا النص ومضمون الرواية.

يواجه القارئ عند حمله لرواية "ليالي الذئاب القطبية" اسم المؤلف "مصطفى ولد يوسف" الذي يبرز أعلى الغلاف باللون الأبيض، الذي يرتبط في الثقافة العربية " بالطهر والبراءة، وهو لون مشاكل للنور والصفاء، لذلك فقد استعمل على معان كثيرة منها الطهارة والنقاء من الأدناس المعنوية."[2]

ويتضح لنا أن الوظيفة الدلالية من خلال كتابة اسم المؤلف باللون الأبيض، يعني أن المؤلف يريد أن يعكس لنا ما خاضه أبطال هذه الرواية من مآسي ومعارك بحثا عن السلم والأمن والحرية، واللون الأبيض يمثل صفاء قلوبهم ونقائها على عكس العدو الذي يتصف بالعدوانية والتوحش والظلم، ويظهر ذلك في قول الكاتب:" هكذا تردد ملحة...قصة أناس تحولوا إلى سيول دم ودموع لتتكسر القيود فتعيش يا توفيق في كنف الحرية"[3].

[1] خليل شكري، القصيدة السير ذاتية، بنية النص وتشكل الخطاب، ص 133.

[2] احمد عبد الكريم، اللون في القرآن والشعر (دراسة)، جمعية البيت للثقافة والفنون، الجزائر، 2010، ص18.

[3] مصطفى ولد يوسف، ليالي الذئاب القطبية، المثقف للنشر والتوزيع، الجزائر، دت، ص 120.

فكانت المجاهدة ملحة ورفقائها في النضال يتحملون الظلم والموت من اجل الحرية والعيش في سلام.

وقد جاء اسم الكاتب "مصطفى ولد يوسف" متقدما على العنوان، وكأنه يلوح للقارئ بأنه صاحب العمل، فاسم المؤلف عنصر أساسي وضروري لا يمكن الاستغناء عنه أو تجاهله والمرور عليه مرور الكرام.

جاء عنوان الرواية "ليالي الذئاب القطبية" تحت اسم المؤلف مباشرة بحيث يبدو في تركيبته اللغوية أنه يحمل من الغموض ما يجعل القارئ يعجز عن فهم معناه منذ الوهلة الأولى لقراءته، ثم يتوسط الغلاف صورة فنية لمجموعة من الذئاب المفترسة، بحيث تتولد عن هذه الصورة عدة تأويلات تدفع بالقارئ إلى الانتقال مباشرة إلى المتن الروائي لفهم معنى العنوان، وتحته مباشرة ورد ذكر لنوع الجنس الأدبي للكتاب وهو (رواية)، باللون الأسود.

وفي أعلى الصفحة نجد دار النشر وهي "المثقف للنشر والتوزيع" كتبت بخط صغير باللون الأبيض، والتي لها دور في الترويج للرواية باعتبارها عتبة أساسية لا تقل شأنا عن أي عتبة أخرى.

كما عمد "مصطفى ولد يوسف" إلى توجيه خطاب صوري عبر المشهد الذي قدمه على لوحة غلافه، حتى يحضر القارئ على فك شيفرة الصورة من جهة وربطها بالعنوان من جهة أخرى، فاختار صورة بالأبيض والأسود لذئاب مفترسة وسط الثلوج، وعليه فالقارئ عند ملاحظته للصورة يتعمق في عناصرها وشكلها ثم ألوانها، فاللون الأسود الذي يعم السماء يرتبط بالحزن والألم، والأبيض يدل على النقاء والأمل، فيحاول المؤلف أن يوصل لنا أن المجاهدين الجزائريين رغم الألم والحزن الذي يملأ حياتهم، إلا أن الأمل في الأمن والحرية ظل يراودهم ويظهر هذا في قوله:" كنت لحظة خروج الناس

مهللين باستقلال الجزائر، وقد اكتظت الساحات الأسبوعية بهم، الذين أتوا من القرى السحيقة، حاملين قلوبهم النقية...سمعت وسمعوا صوت الرصاص فارتبك الجميع، وقد مضى الشهيد الأول في سبيله، فاشتد عباب الذعر، وانفرط العقد ، ولكن الهتافات لم يخب لهيبها."[1]

فالراوي هنا ينقل لنا لحظة خروج الجزائريين للاحتفال، وكلهم أمل بالاستقلال، فيتفاجئون بعنف الجنود الفرنسيين و إطلاق الرصاص في كل مكان، فيتحول الفرح إلى حزن والأمل إلى خيبة كبيرة.

أما الذئاب القطبية الموجودة على الغلاف فهي ترمز إلى المستعمر الفرنسي الذي التهم حرية الشعب الجزائري، واستولى على أراضيه، ومنع عليه الحياة والحرية.

وبالتالي يمكن القول بأن الغلاف الأمامي لرواية" ليالي الذئاب القطبية" هو البوابة التي صنعها المؤلف "مصطفى ولد يوسف" للقارئ حتى يجذبه لقراءة الرواية ويزرع فيه حب الاطلاع والكشف والبحث.

[1] الرواية، ص20.

الغلاف الأمامي لرواية ليالي الذئاب القطبية.

1-1-2- دلالة عتبة الغلاف الخلفي:

جاءت صفحة الغلاف الخلفي باللون الأحمر والأسود، أما الأحمر فيحمل دلالات كثيرة، وهو لون "ارتبط منذ القدم بدلالة غلبت عليه وهي الإيماء إلى لون الدم وما يعني الصراع والثورة والحرب."[1]، وهذا ما نجده في الرواية التي تحكي قصص جزائريين ناضلوا من اجل استقلال وطنهم ودفعوا دماؤهم ثمنا لذلك، وهو ما يظهر في قول الكاتب:" تمر الأعوام الحبلى بالمأساة والمجازر، وقد شاخ وشاب الفقر المدقع في الديار، وازداد الرومي شراسة...تلك الحرب التي مات فيها الآلاف من الجزائريين، فكانت طحطاحات المعارك قبورا لهم."[2]

وأما اللون الأسود "فكثيرا ما يرمز إلى الخوف من المجهول والميل إلى التكتم ولكونه سلبي اللون، يدل على العدمية والفناء"[3]، فالسواد في غلاف الرواية يدل على المصير المجهول الذي تسير نحوه البلاد.

وقد تضمنت الواجهة الخلفية عنوانا "صدر للمؤلف"، ونصا يلخص مؤلفات الكاتب " مصطفى ولد يوسف"، وكتب بخط متوسط باللون الأبيض، يدل على قوة التأثير الروائي في القارئين ولاستذكار أحداث الماضي وتخليدها وزرع الأمل.

وفي أسفل الغلاف الخلفي، كتب على اليمين شعار دار النشر، وفي الوسط اسمها وهو "المثقف للنشر والتوزيع"، مع معلوماتها على مواقع التواصل الاجتماعي، وعلى اليسار رقم الإيداع القانوني، B.89-663-9931.

---

[1] ظاهر محمد الزواهرة، اللون ودلالته في الشعر، دار حامد، عمان الأردن، ط1، دت، ص43.

[2] الرواية، ص25.

[3] فاتن عبد الجبار جواد، اللون لعبة سيميائية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 2009، ص44.

وبالتالي فإن الغلاف الخلفي للرواية هو عبارة عن ملحق، يسعى الكاتب من خلاله إلى إثارة المتلقي، فنجاح العمل الأدبي يتوقف على مدى حسن اختيار المؤلف لواجهتي الكتاب الأمامية والخلفية.

الغلاف الخلفي لرواية ليالي الذئاب القطبية.

ويتمظهر صوت التاريخ في غلاف الرواية من خلال ترابط العنوان والألوان والصورة الفنية بشكل يساهم في تعزيز الفهم الدلالي للرواية وجذب القارئ لها.

فالألوان التي كتب بها العنوان والتي تعني الثورة والفناء تقابلها ألوان الصورة التي تعني الحزن والألم والأمل، وكذا الألوان التي كتب بها اسم المؤلف والتي تعني الأمل والنقاء، تتكامل كلها مع المشهد المقدم لذئاب مفترسة في الظلام، في إشارة إلى المحتل الفرنسي.

فالغلاف هنا ينقل لنا صورة المستعمر المتوحش كالذئب الذي مصيره الفناء والعدمية، وهو ما نجده في قول الروائي:" تسأل الزمن عن موعد رحيل الذئاب القطبية فقد طال عدوانها."[1]

ونستنتج من خلال ما سبق أن غلاف الرواية ينقل لنا صوت التاريخ الذي يحكي تجارب مؤلمة في ليالي مظلمة يعمها السواد ضد ذئاب قطبية يقصد بها "المستعمر الفرنسي"، وقد تم اختيار الألوان وتصميم الغلاف بطريقة تعكس الفترة الزمنية والحدث الذي تحكي عنه الرواية مما يساهم في نقل الحدث التاريخي كما هو للقارئ.

1-2- عتبة العنوان:

يعتبر العنوان مرآة عاكسة للنص، يلخص مضمونه والأفكار التي يحملها، فهو "المفتاح الضروري لسبر أغوار النص، والتعمق في شعابه التائهة، كما أنه الأداة التي بها يتحقق انسجام النص واتساقه، وبه تتكشف مقاصد النص المباشرة والغير مباشرة، وبالتالي فالنص هو العنوان، والعنوان هو النص، وبينهما علاقة جدلية وانعكاسية، أو تقييمية أو إيحائية."[2]

[1] الرواية، ص 104.

[2] جميل حمداوي، شعرية النص الموازي (عتبات النص الأدبي)، ص49.

أي أن العنوان دائما ما يعكس لنا محتوى النص ويتناغم معه وينسجم بشكل دقيق، فهما عنصران يكملان بعضهما البعض.

كما يقسم العنوان إلى عدة أنواع، نذكرها فيما يلي:

أ- **العنوان الرئيسي:** وهو كل ما يأتي في الجزء الأول قبل الفاصلة[1]، وهو الذي يظهر في واجهة الكتاب، وأول ما يقابل القارئ، ويسمى بالعنوان الأصلي.

ب- **العنوان الفرعي:** ويأتي للتعريف بالجنس الكتابي للعمل (رواية، قصة، تاريخ...)[2] ، ويكون شارحا للعنوان الرئيسي ويكتب لتكملة المعنى وإيضاحه لدى القارئ.

ت- **العنوان الثانوي:** وغالبا ما نجده موسوما أو معلما بأحد العناصر الطباعية.[3]

يكتسب العنوان قيمته الفنية من خلال علاقاته مع النص والقارئ وعناوين الروايات الأخرى لنفس المؤلف.

وقد حدد عبد الحق بلعابد في كتابه (عتبات لجيرار جينيت من النص إلى المناص) أربعة وظائف للعنوان في: [4]

أ- **الوظيفة التعيينية:** وهي الوظيفة التي تعين الكاتب أو محتواه، فلا بد للكاتب أن يختار اسما لكتابه ليتداوله القراء، فمثلا عندما ندخل إلى مكتبة معينة فإن أول ما نسأل عنه هو اسم الكاتب الذي نرغب في اقتنائه.

---

[1] عبد الحق بلعابد، عتبات لجيرار جينيت من النص إلى المناص، ص66.

[2] المرجع نفسه، ص66.

[3] المرجع نفسه، ص70.

[4] المرجع نفسه، ص78-88 .

ب- **الوظيفة الوصفية:** ويسميها جينيت الوظيفة الإيحائية لأن التقابل الموجود بين النمطين الموضوعاتي والخبري، لا يحددان لنا التقابل موازيا بين وظيفتين الأولى موضوعاتية والثانية خبرية تعليقية.

ت- **الوظيفة التضمنية:** تتعلق بمضمون الكتاب أو نوعه أو هما معا.

ث- **الوظيفة الإغرائية:** وهي من الوظائف المهمة للعنوان المعول عليها كثيرا، على الرغم من صعوبة القبض عليها، ولها دور بالغ الأهمية في تحريك عاطفة القارئ والتلاعب بفكره حتى يقتني الكتاب ويطالعه.

يتضح لنا من خلال الوظائف السابق ذكرها أن للعنوان أهمية كبيرة في أي عمل أدبي، فالكاتب يقوم باختياره أولا بعد تفكير عميق، ثم تحديد مضمون يتناسب معه، كما يركز على مدى تقبل القارئ له حتى يجذبه ويثير فضوله ويساهم في ترويجه.

1-2-1- دلالة عتبة العنوان:

جاء عنوان الرواية "ليالي الذئاب القطبية" تحت اسم المؤلف "مصطفى ولد يوسف" وفوق الصورة الفنية، تظهر جماليته من خلال نوع الخط المستعمل بحروف بارزة، مما يدل على أهميته وبعده الأيقوني، ودلالته في متن الرواية.

يتربع العنوان على مساحة غلافية متوسطة الحجم، أكبر من باقي العتبات النصية في الغلاف، ودوِّن باللون الأحمر والأسود، فكلمة "ليالي" جاءت باللون الأحمر وهو لون "يرمز للنار المشتعلة

ويستعمل في بعض الأحيان للدلالة على الغضب والقسوة والخطر وللدلالة على الثورة...ويرمز إلى القتال والشدة."[1]

وهو ما نجده في الرواية، التي تعكس لنا حجم الآلام التي عاشها الجزائريون، وليالي القتال التي خاضها المجاهدون ضد المستعمر الفرنسي، بكل ما تحمله قلوبهم من غضب وهيجان وتعطش للحرية، حتى لو كان الأمر على حساب أرواحهم.

أما الذئاب القطبية فجاءت باللون الأسود الذي يرمز للموت والعدمية، وهو يدل على المستقبل الذي ينتظر الفرنسيين الذي يقتلون الجزائريين ويعذبونهم، فالمستعمر سيفنى ولن يدوم ومصيره العدم.

واجتماع هذين اللونين "الأحمر والأسود"، يمثل لنا ماذا ينتظر تلك الذئاب من موت وحرب ومقاومة من طرف المناضلين الجزائريين فكل ذئب قطبي ينتظره قتال ونضال.

جاء عنوان الرواية الذئاب القطبية فوق صورة فنية مباشرة، تحمل تلك الصورة مشهدا لذئاب قطبية مفترسة وسماء غائمة سوداء، مما يعكس التكامل الموجود بين العنوان والصورة، ويصف الكاتب هذا المشهد في قوله:" لم يتوقع العدو أنه في يور رياح ثلجية سيباغته المجاهدون الذين شلوا إمداداته، وقتلوا عددا من جنوده، وحطموا الثكنة وأحرقوا ما فيها، كما غنموا سلاحا وذخيرة وألبسة صوفية، ستقيهم من برد الشتاء هناك."[2]

[1] فاتن عبد الجبار جواد، اللون لغة سيميائية، ص138.

[2] الرواية، ص61.

ويعني هذا الوصف أن النص والعنوان تجمعهم علاقة وطيدة وكل منهما يكمل الآخر ولا يمكن فصلهما عن بعض، فالعنوان هو ملخص لمحتوى النص وصوته وصورته التي تستدعي القارئ وتستدرجه لقراءته وفهم معانيه ومضامينه.

ويظهر صوت التاريخ في العنوان من خلال المعنى الذي يؤديه، ومن الترابط الموجود بين العنوان والألوان التي كتب بها، أضف إلى ذلك الصورة المكملة له، فالكاتب من خلال عنوان "ليالي الذئاب القطبية" يريد نقل أحداث تخص حقبة معينة من تاريخ الجزائر.

مثّل الراوي المستعمر الفرنسي ب "الذئاب القطبية" المفترسة التي تأكل فريستها بلا رحمة، وأسبقها بكلمة "ليالي" التي تحدد لنا زمن الأحداث وهو الليالي المظلمة، وهو يشير هنا إلى أحداث تاريخية تخص الثورة الجزائرية، فالرواية تنقل لنا بطولات "ملحة" وأبناء قريتها في الجبال، وتحكي عن الليالي الصعبة مروا بها من برد وثلوج وقتال مع المستعمر، فظلت راسخة في ذهن ملحة حتى بعد استقلال الجزائر، ويظهر هذا في قول الراوي:" تركت الجبل وأشباح الشهداء تلحقها في المنام، وهي صامتة تسأل الزمن عن موعد رحيل الذئاب القطبية، فقد طال عدوانها على الطرائد التي لم تعد هناك."[1]

[1] الرواية، ص 104.

2- التاريخ والمتخيل في الشخصيات الروائية:

تعتبر الشخصية الروائية عنصرا أساسيا من عناصر البنية السردية، نظرا لفاعليتها وحيويتها، فلا وجود لأي عمل سردي خال من شخصية تتحكم في أحداثه، وقد كان موضع اهتمام في النقد القديم والحديث.

يعرف عبد الملك مرتاض الشخصية بأنها:" كائن حركي ينهض في العمل السردي، يوظفه دون أن يكونه."[1]

نلاحظ من خلال هذا القول أن الشخصية الروائية هي عنصر فعال ومحرك داخل العمل السردي، فهي التي تدير الأحداث وتحركها حسب وظيفتها ودورها في النص.

كما يرى أيضا أنها :"هي التي تصطنع اللغة وهي التي تثني أو تستقبل الحوار، وهي التي تصطنع المفاجأة وهي التي تنهض بدور تضريم الصراع أو تنشيطه من خلال أهوائها وعواطفها، وهي التي تقع عليها المصائب وهي تتحمل العقد والشرور، والتي تتفاعل مع الزمن، وهي التي تتكيف وتتعامل مع هذا الزمن في أهم أظرفه الثلاثة: ماضي، حاضر، ومستقبل، فالشخصية تسند إليها أهم الوظائف في العمل الفني."[2]

يركز "عبد الملك مرتاض" في هذا القول على وظائف الشخصية ودورها في الرواية، فالمؤلف عند كتابته لأحداث روايته يحدد شخصياتها، ويعطيها اسما وحوارا ومكانة ووظيفة وعواطف، تتفاعل بها مع باقي عناصر النص من زمان ومكان وحبكة وأحداث، وفي كل حدث يقع إلا وتكون شخصية ما

[1] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، 126.

[2] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية ، ص16.

هي بطلته، وفي كل موقف عاطفي محزن، سعيد أو تعيس، سيكون على الشخصية أن تتصف به، ففي الرواية الشخصية هي الشر والخير، السعادة والحزن.

أما الدكتور "محمد يوسف نجم" فيعتبر أن الشخصية الروائية هي: "مصدر إمتاع وتشويق في القصة لعوامل كثيرة، منها أن هناك ميلا طبيعيا عند كل إنسان إلى تحليل نفسي ودراسة للشخصية، فكل منها يميل إلى أن يعرف شيئاً عن عمل العقل الإنساني، وعن الدوافع والأسباب التي تدفعنا إلى أن نتصرف تصرفات معينة في الحياة."[1]

أي أن الشخصية تمثل عامل تشويق في أي قصة وجدت، فطبيعتها وتصرفاتها ونفسيتها تدفع بالقارئ إلى محاولة التعرف على أصغر التفاصيل التي تخصها وتخص حياتها والأسباب التي دفعتها لتكون بهذه الطباع، فالإنسان عند إطلاعه على أي عمل أدبي يروي قصة تديرها شخصيات، فهو يرى نفسه في تلك الشخصيات فيحبها أحيانا ويكرهها أحيانا أخرى، لكن في كلتا الحالتين سيريد معرفة الأكثر عنها.

وتقسم الشخصيات الروائية إلى نوعين وهما:

2-1 الشخصية الرئيسية: وهي الشخصية المحورية التي تبنى عليها أحداث الرواية، وتسمى ببطل القصة أو بطلتها إذ" تستند إليها وظائف وأدوار لا تستند للشخصيات الأخرى، وغالبا ما تكون هذه الأدوار مثمنة داخل الثقافة والمجتمع".[2]

[1]محمد يوسف نجم، فن القصة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، دط، دت، ص51-52.

[2]محمد بوعزة، تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط1، 2010، ص53.

لأن الشخصيات الرئيسية تتلقى اهتماما من طرف المؤلف ويحفظها دون غيرها من الشخصيات بحضور مكثف في الرواية، ويجعلها تحتل مكانة مرفوعة في النص والمفتاح الذي يحل مشكلة النص.

2-2 الشخصية الثانوية: وهي الشخصيات ذات الدور المحدود مقارنة بالشخصيات الرئيسية، "فقد تكون صديق الشخصية الرئيسية أو إحدى الشخصيات التي لا تظهر في المشهد بين الحين والآخر، وقد تقوم بدور تكميلي مساعد للبطل أو معين له وهي اقل تعقيدا وعمقا من الشخصيات الرئيسية، كما أنها لا تحظى باهتمام السارد" .[1]

أي أن الشخصيات الثانوية دائما ما تكون مساندة للشخصية الرئيسية في الرواية أو معينة لها، وحضورها لازم، لما لها من أهمية في سير الأحداث إلى جانب الشخصية الرئيسية.

وتقوم "الشخصية الثانوية بدور المساعدة، ويختلف هذا الدور من الشخصية الثانوية إلى الأخرى ويستخدمها القصاصون لتقوم بإدارة بعض الشخصيات الجانبية لتسيير الحدث الرئيسي أو لإظهار شخصية البطل وتوضيح بعض معاناتها وسماتها."[2]

ويتضح من خلال هذا القول أن وظيفة الشخصية الثانوية تختلف حسب الغاية التي وضعها من أجلها الكاتب، فتكون مرات مساعدة ومرات أخرى معارضة، لذلك فهي عنصر مهم لا يمكن الاستغناء عنه.

[1] احمد محمد عبد الخالق، الأبعاد الأساسية للشخصية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، دت، ص32.

[2] عبد اللطيف السيد الحديدي، الفن القصصي في ضوء النقد الأدبي، القاهرة، مصر، ط1، 1996، ص158.

2-3 الشخصيات الروائية في رواية "ليالي الذئاب القطبية".

يمكننا تقسيم الشخصيات في رواية " ليالي الذئاب القطبية" إلى شخصيات رئيسية وأخرى ثانوية، اختلفت ادوار كل واحدة منها وهي كالتالي:

أ- الشخصيات الرئيسية:

- **ملحة:** هي فتاة جزائرية ولدت في قرية في أعالي الجبال، لعائلة فقيرة كباقي العائلات الجزائرية خلال الاستعمار الفرنسي، يقول عنها الراوي "في قبو التهميش والمعاناة كانت ولادة ملحة في عائلة جبلية، يملئ الاعتزاز صحون عشائها، وهي صامدة تقتات كبقية العائلات في ذلك الوقت العصيب من عام 1939، من فتات الحقول البخيلة في عز بهائها، فتات البركة والأولياء الصالحين، ولكن في كل جفاف أو فيضان مباغت وكاسح، تملأ الحاجة بطون المسحوقين[1]".

أصيبت "ملحة" بعمر التسع سنوات بكحة جافة مما استلزم نقلها إلى مستشفى"سان بيير" وأبقوها عندهم شهورا حتى تشفى، يصفها الروائي بقوله:" لا تدري ملحة ماذا يضعون بجسدها الذي تهاون فأضحى مجرد هيكل عظمي"[2].

وأيضا:" هي الآن بنت التاسعة، إنها في عمر البراءة... فماذا ينتظرها في هذا المستشفى وهل ستشفى من السل، والسل قاتل ولص مفتون بالأرواح البريئة."[3]

[1] الرواية، ص08.
[2] الرواية، ص10.
[3] الرواية، ص10.

ونظرا للأمراض والأوبئة التي كانت منتشرة في القرية وآخرها "الكوليرا" فقد اضطرت الراهبات على رأسهن "بريجيت"، أن يأخذن الأطفال إلى المستشفيات وعلاجهن، فأخذت بريجيت "ملحة" بصعوبة من أهلها حتى تعلمها، فأصبحت ممرضة في المستشفى نفسه، وتقاطعت طرقها مع مناضل جزائري ينام في غيبوبته في إحدى الغرف، و ينتظر منه أن يفيق حتى يحول للتعذيب والاستجواب، فاستيقظ الحس الثوري عند ملحة وقررت تهريبه في مشهد بطولي ونجحت في ذلك، لتصعد بعدها إلى الجبل مع المناضلين وأصبحت ممرضة للمجاهدين تضمد جروحهم وتعالجهم، حتى استقلال الجزائر.

يقول الروائي عنها: "اقترب منها بوعلام شاكرا: لو لم تكوني صنديدة لكنت الآن مرميا في زنزاناتهم السرية يمارسون أبشع أنواع التعذيب... فأين لك كل هذه الشجاعة؟

لست أدري؟

أأنتي متأكدة من الصعود معنا؟

ماذا بقي لي، فأنا في حالة بحث من طرفهم، ولا خيار عندي إلا أداء الواجب مع إخواني؟."[1]

استحضر الراوي التاريخ في شخصية ملحة من خلال نضالها وجهادها مع إخوانها وأخواتها في الجبال، وأعمالها البطولية من تهريب لمناضل كبير إلى علاج المصابين في أحنك الظروف وتحت قنابل العدو.

فشخصية ملحة تنطلق من الحاضر لتعود إلى الماضي، فحاضرها يمثلها امرأة مسنة لا تقوى على المشي تجالس حفيدها وتقص عليه بطولاتها من الماضي، ويظهر في الرواية من خلال قول الراوي:"

[1] الرواية، ص72.

انسحبت عنوة من حياتها المليئة بالمغامرات والمآسي والبطولات، سارحة في ملكوت الذاكرة خالقة رواسب الشيخوخة التي أثقلت جسدها المتهرئ".[1]

فصوت التاريخ يملأ أحاديثها وهي تقول:" غدا سيأتي دورك لأحكي لك قصة وطن والآن لا بد لي من أن أحكيها لنفسي."[2]

تستحضر لنا ملحة بطولات رفقائها من القرية الذين ناضلوا وجاهدوا في سبيل الحرية، وأحداث الثامن من ماي 1945، والحرب العالمية الثانية، ومعارك خاضتها مع إخوانها ضد المستعمر الغاشم، ويظهر هذا في الرواية في قولها:" نحن محاصرون، فمدفعية العدو لم تهدأ طوال اليوم والغارات الجوية لم تبخل علينا بقنابلها الفسفورية...اخترق الشجر والحجر."[3]

وهكذا فإن شخصية ملحة مشبعة بالروح الوطنية، ورمز تاريخي للنضال والمقاومة استنطقها التاريخ يوما فحكت ما بجعبتها من قصص تاريخية ثورية، فتقول:" قصة أناس تحولوا إلى سيول دم ودموع لتكسير القيود، فتعيش يا توفيق في كنف الحرية، لا في كفن العبودية."[4]

ب- الشخصيات الثانوية:

- **آكلي:** هو شاب مفعم بالطاقة ومتشبع بأشعار "سي محند أو محند" التي تذم الفرنسيين وأتباعهم، غاضب ومتمرد من الأوضاع التي يعيشها الوطن من ظلم واستعباد واحتقار، وبقيام الثورة أصبح مخبرا للجبهة التحريرية في القرية.

[1] الرواية، ص07.
[2] الرواية، ص08.
[3] الرواية، ص84.
[4] الرواية، 120.

فيظهر على أنه شخص محايد وفي نفس الوقت يأخذ أخبار المستعمر للمناضلين، يصفه الراوي بقوله:" آكلي شاب في مقتبل العمر، يحمل شعلة نار تحت رماد هدوئه...على الرغم من ثقافته المحدودة جدا، إلا أنه كان حفاظا جيداً لقصائد "سي محند أو محند" الشاعر الجوال."[1]

تعكس لنا شخصية آكلي صوت التاريخ من خلال الأبيات التي كان يرددها الشاعر "سي محند أو محند" الذي يقول:

"إلى اكفادو،

لا أحد سيجبرني على الرضوخ لحكمه،

الانكسار خير من المذلة،

البقاء في أرض حكامها طغاة

أقسمت على الرحيل بعيدا منفيا

أفضل من البقاء وسط الطواغيت."[2]

وهو هنا يرفض الظلم والاضطهاد وفقدان الحرية الذي يمارسه المستعمر على الشعب الجزائري، فآكلي ذو شخصية ثائرة تكتم غضبها وتنتظر الوقت الحاسم لإظهارها، وتعبر عن قيم ومبادئ قومية ووطنية تاريخية، تدفعها نحو التحرر والثورة ضد المستعمر بكل الطرق الموجودة، يقول الراوي:" كان مجاهدا ومسبلا في الخفاء وشاعرا حافظا للذاكرة وشهيدا ملتحقا ببوعلام وصديقه الوفي فريد."[3]

---

[1] الرواية، ص14.

[2] الرواية، 14-15.

[3] الرواية، ص24.

كما استذكر تاريخ بطولات لالة فاطمة نسومر في قوله:" لا نملك إلا بوابة واحدة للخروج من العبودية وهي محاربتهم كما فعلت لالة فاطمة نسومر وتصفية جميع الخونة."[1]

فلالة فاطمة نسومر هي رمز وطني للنضال والثورة والمقاومة الشعبية، حاربت الجيوش الفرنسية بكل قوة إلى أن ألقي القبض عليها.

– **بوعلام محمدي**: هو شاب جزائري جند في الجيش الفرنسي للقتال في الحرب العالمية الثانية، اكتشف عنصرية الفرنسيين ضد الجزائريين ومعاملتهم السيئة والظلم الذي يتعرضون له.

بعد عودته إلى القرية ومع بداية الثورة انضم إلى إخوانه المجاهدين وأصبح قائدا لها، إلى أن ألقي القبض عليه، وهربته ملحة من المستشفى، فظل يناضل إلى أن استشهد في ساحة النضال، يصفه الراوي بقوله :" ومن الناجين بوعلام، هناك حارب عدوا ليس عدوه، فذاب في حساء حرب لا ناقة له فيها ولا جمل."[2]

ويظهر التاريخ جليا في شخصية "بوعلام"، من خلال نضاله وتزعمه لمجموعة من الشباب وقيادتهم لمحاربة فرنسا.

نجده في حواره مع آكلي، بحيث له يقول هذا الأخير:

"إنها الثورة يا بوعلام الثورة،

توقعتها منذ أن سلط الرومي الموت المجاني في ليليات المجازر التي ارتكبها في 1945م."[3]

---

[1] الرواية، ص120.

[2] الرواية، ص26.

[3] الرواية، ص 54.

وهنا استحضار لأحداث الثامن ماي 1945 التي خرج فيها الجزائريون للاحتفال بالنصر والاستقلال فقوبلوا بالقتل والرصاص.

وعند مروره على طبيب للعلاج، سأله عن مدينته فقال:

"أنا من القبائل الكبرى، وأنت،

نعم الناس يا أحفاد "نسومر" فأنا من معسكر،

نعم الناس يا أحفاد "الأمير عبد القادر".[1]

فالأمير عبد القادر ولالة فاطمة نسومر هما من الرموز التاريخية الجزائرية التي قادت مقاومات شعبية سجلها التاريخ بأحرف من ذهب في ذاكرة الجزائريين.

إن الأحداث التاريخية التي عاشها "بوعلام" في تجنيده خلال الحرب العالمية الثانية، وسماعه عن مجازر 8 ماي 1945م، وترعرعه على حكايات نضال لالة فاطمة نسومر وباقي المقاومات الشعبية، ولد فيه خلفية تاريخية، وساهم في تشكيل هويته الوطنية التي دفعته للمشاركة في الحرب والتفاعل مع الأحداث الراهنة والرغبة في التغيير حتى على حساب روحه.

- **سليمان:** كان سليمان فتى جزائريا نجيبا من الأوائل في تعليمه لكن عنصرية المستوطنين وغيرتهم منعتهم من الاعتراف بذلك، فصعد إلى الجبل وانضم إلى المناضلين كصانع قنابل، وكان يسمى بالكيميائي، كان له الفضل في الكثير من التفجيرات المفخخة للعساكر الفرنسيين، عايش الاستقلال وتزوج مع ملحة.

[1] الرواية، ص27.

يقول عنه الراوي:" لم يتصور سليمان يوما أن يجد نفسه في الجبل مع إخوانه المجاهدين وعيناه تشهدان على عنصرية الأوروبيين الذين يعيشون في المدينة نفسها."[1]

ويقول أيضا:" كانوا يلقبونه بالكيميائي في المعسكر فهو بارع في صنع القنابل اليدوية، في ظل شح الإمدادات بالسلاح."[2]

يظهر صوت التاريخ جليا من خلال تفاعل سليمان مع الأحداث التاريخية التي تجري حوله ومقاومتها، فيقول الراوي عنه:" كان سليمان خفيف الظل، ينتقل من الجهة اليمنى من الطريق إلى الجهة اليسرى ليضع القنابل في الأماكن التي لا نخطر على بال العدو."[3]

إن التجارب التي عاشها سليمان في طفولته وسط الفرنسيين العنصريين وما رآه من ظلم واستبداد ضد أبناء جلدته زرع فيه اليقين بلزوم محاربتهم وطردهم من البلاد، فشارك في المعارك وتطوع للإفادة بذكائه من خلال صنع القنابل وتفجيرها.

– **تاجر المواشي "لحلو"**: وهو تاجر مواشي كان شاهدا عيان لمجازر 8 ماي 1945، عاد إلى القرية مصابا يروي للسكان ما رآه، ورد في الرواية قوله:" كانت لحظة خروج الناس مهللين باستقلال الجزائر، وقد اكتظت الساحات الأسبوعية بهم الذين أتوا من القرى السحيقة حاملين قلوبهم النقية...سمعت وسمعوا صوت الرصاص، فارتبك الجميع، وقد مضى الشهيد الأول في سبيله، فاشتد عباب الذعر، وانفرط العقد، ولكن الهتافات لم يخب لهيبها."[4]

---

[1] الرواية، ص93.

[2] الرواية، ص97.

[3] الرواية، ص99.

[4] الرواية، ص20.

ينقل لنا لحلو صوت التاريخ من خلال الأحداث التاريخية التي رواها بكل تفاصيلها من أول رصاصة إلى أن وصل إلى القرية، وينقل صفات الراية الوطنية التي كلما سقطت حملها أحد من المتظاهرين، فيقول الراوي هنا على لسان "لحلو" :" وأثار دهشتي أن الراية بألوانها الثلاثة ووسطها نجمة وهلال تتناقل بين الأيدي، فكلما سقط شهيد إلا ووجدت من يرفعها صائحا:

تحيا الجزائر،

تحيا الجزائر."[1]

فيحكي الظلم والعنف الذي تعرض له الجزائريون وكل أشكال القتل والتنكيل، فيقول:" وجدت نفسي وسط الأنفار من بني جلدتي نساق كالقطيع إلى مكان يدعى سد شعبة الآخرة، الواقع عند مخرج المدينة...وجدت نفسي مسندا على الأرض والدم المتسيب غطى وجهي."[2]

وبشكل عام فإن توظيف التاريخ في الشخصيات الروائية يساهم في جعل الرواية أكثر واقعية وإثراء للمتلقي، من خلال جعله يستكشف أحداثا تاريخية وتجاربا لشخصيات معروفة وغير معروفة.

[1] الرواية، ص20.

[2] الرواية، ص21.

3- أشكال حضور التاريخ في الرواية:

3-1 التاريخ الجزائري (8 ماي 1945م).

وظف الكاتب مصطفى ولد يوسف في روايته "الذئاب القطبية" أحداثا تتعلق بالتاريخ الجزائري، ومن بينها "مجازر 8 ماي 1945م"، التي راح ضحيتها أكثر من 45 ألف شهيد.

فبعد نهاية الحرب العالمية الثانية احتفل الغرب بعقد الهدنة مع ألمانيا، وأراد الجزائريون المشاركة في الاحتفال، والمطالبة بحقهم في الحرية والاستقلال، ولأجل هذا الحق شاركوا في صفوف الحلفاء بكل شجاعة، لكن فرنسا لم تف بوعودها، وهذا ما اتضح عندما خرج الشعب من المدن والقرى الجزائرية في مظاهرات سلمية كغيرهم من الشعوب في العالم، لكن السلطات الفرنسية قابلت المتظاهرين بأبشع مجازر عرفتها الجزائر والإنسانية جمعاء.

وبينما كانت قرية "ملحة" تعيش الفقر والأوبئة وتغرق في مشاكلها، والغضب يملأ صدور شبانها اتجاه المستعمر الغاشم، وصلت أخبار تقول بأن السلطات الفرنسية نفذت مجازر في حق المتظاهرين بمدينة خراطة، وسقط منهم الكثير من القتلى والجرحى، فاختلطت المعلومة بين كونها حقيقة أو إشاعة، ويقول الراوي في هذا الصدد: "كان الحدث على كل لسان في البداية كانت إشاعة فاجأت الجميع، ففي مدينة خراطة تنفذ مجازر مروعة في حق الأبرياء خلسة، والعالم يرقص على أشلاء النازية المنحدرة...ولكن مع توالي الأخبار المفزعة تحولت الإشاعة إلى حقيقة، فقد سقطت أرواح مغدورة، وهي تهتف بالجزائر، فانتشرت سواقي الموت في المدينة الشهيدة ، أثاثها أجساد مرمية هنا وهناك وقد أثمر الرصاص فيها."[1]

[1] الرواية، ص19.

فسكان القرية لم يكن لهم علم بمدى وحشية المجازر، حتى أن "القايد" لم يمل من تكذيب الأخبار، وعندما قرر التوجه للسكان فوق حصانه حتى يبشرهم بنهاية هتلر وهزيمته، ويوزع عليهم الحلويات، سأله شخص يدعى "محند"- وهو ممن أجبروا على القتال في الحرب العالمية الأولى- عن حقيقة إطلاق النار على المتظاهرين، فأحرج القايد ونفى ذلك قائلا:" كلام غير صحيح، مجرد أراجيف، فاليوم يوم الفرح العظيم، وانتصار العالم الحر على هتلر، وما حدث أن عصابة حاولت استغلال الوضع للسطو على مركز بريد، فكان الدرك الفرنسي بالمرصاد."[1]

وكانت هذه أكاذيب عملاء فرنسا الذين يدافعون عنها أمام الأهالي، لكن أمرهم كان مكشوفا ولا يصدقهم أحد.

وبينما كان الناس يترقبون لمعرفة ماذا يجري، عاد "لحلو" وهو تاجر مواشي شاهد ماذا حدث وكله جروح مضمدة يمتلكه الرعب، ويقول:" كانت لحظة خروج الناس مهللين باستقلال الجزائر، وقد اكتظت السوق الأسبوعية بهم، الذين أتوا من القرى السحيقة، حاملين قلوبهم النقية...سمعت وسمعوا صوت رصاص، فارتبك الجميع وقد مضى الشهيد الأول في سبيله، فاشتد عباب الذعر وانفرط العقد، ولكن الهتافات لم يخب لهيبها ، تحيا الجزائر، تحيا الجزائر."[2]

فلحلو هنا يصف المشهد الذي رآه بتفاصيله الصغيرة والكبيرة من احتفال الناس إلى بداية إطلاق الرصاص عليهم، وهذا ما حدث بالفعل في الواقع.

نقل لحلو إلى سكان القرية فضاعة المحتل من خلال ما فعلوه لشيخ كان هاربا فاردوه قتيلا، يصفه الراوي بقوله:" وصوت شيخ يدعوا الناس إلى الفرار إلى منازلهم...لم يأبه الشباب بنداءات الشيخ الذي

[1] الرواية، ص19.

[2] الرواية، ص20.

لقي رصاصة في رأسه فسقط جثة هامدة، وبقربه معمر مسلح يوزع الابتسامات لأصحابه، وهو يتباهى بصيده."[1]

فالجزائري بالنسبة للجندي أو المعمر هو شخص أقل قيمة منهم ولا فائدة من حياته أو موته.

إن المذلة التي عومل بها "لحلو" تنعكس على جميع الجزائريين هناك، أطلق عليه رصاص طائش وبصق عليه أحد الجنود وهو يردد:" أنت بحجم الحشرة، وسأتكفل بك لاحقاً."[2] ، وكان هذا حال كل المتظاهرين ومن تواجدوا بتلك المنطقة، فالدماء تملئ المكان والجثث تتناثر هنا وهناك بلا رحمة.

حشد الجنود المتظاهرين من نساء ورجال وأطفال، ومشوا بهم إلى طريق مجهول يتحاورون حول كيفية التخلص منهم وهم يقولون:" سنحرقكم يا أوغاد...أظننتم أن فرنسا ضعيفة."[3]

ولم يرحم الجنود الفرنسيين من حاربوا لجانبهم يوما ما ومنهم شيخ حارب مع الجيش الفرنسي خلال الحرب العالمية الأولى وطلب الرحمة لذلك، فكان جوابهم بمطالبته بقتل" لحلو" لكنه رفض بقوله:" لا أستطيع إنهم أهلي."[4]، فالشعب الجزائري كان ينظر لبعضه كالعائلة فالكل إخوة يختلفون في الآراء لكن يجمعهم مصير واحد وهوية واحدة.

[1] الرواية ،ص20-21.

[2] الرواية، ص21.

[3] الرواية، ص22.

[4] الرواية، ص 23.

بعد المشي الطويل ركب العساكر شاحناتهم العسكرية ورحلوا، وتركوا الناس يكسوهم الجوع والإرهاق، ويتمثل هذا في قول الراوي:" تكاثر الذباب حولنا والجوع يكسو الوجوه المتعبة والمرهقة، من شدة السير."[1]

فالسلطات الفرنسية بقدر قوتها العسكرية إلا أنها لم تجد سوى قتل الأبرياء من نساء وأطفال ورجال لتثبت نفسها، وتتفنن في إذلالهم وتركهم يتعفنون في جراحهم، فقد قتلت عائلات بأكملها، ويتمت أطفالا ورملت نساء، ولم يكفها هذا فحشدتهم في أماكن ك "شعبة الآخرة"، وتمتع جنودها برؤية الأهالي يموتون بجروحهم، حتى لو كانت بسيطة.

لهذا فإن سرد أحداث هذه المجازر في رواية "ليالي الذئاب القطبية" يؤكد على مدى رسوخها في أذهان الجزائريين وبقائها شاهدة على وحشية وحقد المحتل الغاشم، وستظل الأجيال تذكرها، وتستحضرها في كل مقام.

3-2 التاريخ العالمي (الحرب العالمية الثانية).

إن رواية "ليالي الذئاب القطبية" مليئة بالبطولات التي قام بها الشعب الجزائري أو شارك فيها لكنه لم ينل مبتغاه وكان دائما ضحية كذب وغدر السلطات الفرنسية التي تقدم وعودا لا تفي بها. وهذا ما حصل في حالات تجنيد الجزائريين لحروبها مقابل لاشيء ومن هذه الحروب نذكر: الحرب العالمية الثانية، والتي ذكرها الروائي مصطفى ولد يوسف في روايته من خلال قصة المناضل محمدي بوعلام الذي كان مجندا في صفوف الحلفاء ثم زعيما وقائدا ثوريا في صفوف جبهة التحرير.

[1] الرواية، ص23.

مع بداية الحرب العالمية الثانية وضعف القوات الفرنسية، اتجهت فرنسا لتجنيد اكبر عدد ممكن من شباب الجزائر في صفوف الجيش الفرنسي، وقد وصف الراوي مشاركتهم في الحرب، بقوله:" هناك حارب عدوا ليس عدوه، فذاب في حساء حرب لا ناقة له فيها ولا جمل، كالملح في غير محله، فالمرارة مرة على كل عبد مغلول بأوجاع الفقر والجوع والمرض."[1]

واستحضر الراوي أحداث هذه الحرب من خلال شخصية محمدي بوعلام الذي جند عنوة في صفوف الجيش الفرنسي، بحيث شاهد المعاملة التي يعامل بها إخوانه الجزائريون من طرف الضباط الفرنسيين بكل استخفاف وعنصرية.

وكان الجزائريون في الحرب في الخط الأول لمجابهة الخطر، فيقول الراوي:" أجساد إخوته مرمية متمرغة في الأوحال، وهو عاجز عن فعل أي شيء"[2]، وفي مرة حاول مساعدة رجل لا يزال حيا عوقب وترك في الزنزانة لمدة عشرة أيام وسط الأوساخ والبرد الصاقع.

ويروي بوعلام أن القوات الفرنسية لم تعامل الجنود على سواء، فمن هو فرنسي فطعامه ساخن ومكان نومه دافئ، ومن كان غير ذلك فيكتفي بحساء بارد ، وكذلك الأمر في الملبس، فيقول الراوي:" وحتى في الملبس فالفرنسي ينال المعطف الجديد من النوع الرفيع بينما غير الفرنسي ينال البالي، ونوعيته رديئة جدا."[3]

وقد اعتمد الضباط الفرنسيون في حربهم على إستراتيجية بعث مجموعات الأفارقة هي الأولى ثم تليها المغاربية للتأكد من عدم وجود خطر، ومن يتمرد على القانون سيحول للتحقيق، وهو ما جرى مع

[1] الرواية، ص25.

[2] الرواية، ص25.

[3] الرواية، ص27.

بوعلام، وقد ورد في الرواية أن :" بوعلام الذي لم يفهم الغاية الإستراتيجية من بعث السرايا المؤلفة من غير الفرنسيين إلى الموت المحقق، ليجد نفسه وهو يسأل ذلك الضابط المجرم "فيليب" رهن الاعتقال ومحل تحقيق عسكري...وبعد أكثر من ساعة من المساءلة بالصفعات واللكمات خرج وهو مكسو بالكدمات على وجهه."[1]

فالضباط لم يهتموا للجنود الغير فرنسيين ولا لحياتهم أو أهميتهم فهم بالنسبة لهم طعم يختبئون وراءه لحماية أنفسهم.

وهذا ما أكده قول الضابط للجنود الأفارقة:" إنكم مجرد اعلاق مدفع أو طعم لبنادق العدو ومدافعه، ولا يهمنا مصيركم."[2]

وقد انتقل بوعلام إلى مجموعة جديدة فوجد ضابطا رحيما مع جميع الجنود على حد سواء، على الرغم من تعرضه للضغوطات والتحذيرات بالتقليل من رتبته العسكرية في حال بقائه على هذا الوضع، لكنه دائما ما يذكر الجنود بقوله:" لستم طبقا رئيسيا في هذه الحرب، ولست طباخا لموتكم المحتوم."[3]

وكانت إنسانيته تغلب جشع وهمجية قيادته، فنال احترام المحاربين وحبهم.

ومع نهاية هذه الحرب، ظنت فرنسا أنها منتصرة لنفسها، ولكن ذلك لم يكن ليحصل لولا الأرواح التي ماتت من مستعمراتها، أرواح خاضت حربا ليس لها دخل فيها، استعملت كقربان ليحيا المستعمر

[1] الرواية، ص27.
[2] الرواية، ص28.
[3] الرواية، ص28.

الغاشم، وعانت من العنصرية وعوملت بقسوة وكان القادة يصفون الجنود بقولهم:" إنهم مجرد دواب وزواحف"[1]

وأخيرا فإن الكاتب باستحضاره لأحداث هذه الحرب، أراد أن يذكرنا بما عاناه أجدادنا المجندين إجباريا في حرب ليس لهم علاقة بها ظنا منهم أن فرنسا تفي بوعودها وستعطيهم حريتهم واستقلالهم، لكن على العكس فقد زاد بطشها وطغيانها، ففي كل فرصة تسنح لها تقتل الجزائريين أكثر مما سبق.

[1] الرواية، ص29.

4- جماليات توظيف التاريخ في الرواية:

اتجهت الرواية الجزائرية بعد الاستقلال إلى توظيف التاريخ في أحداثها، من أجل إحياء أمجاد الماضي، وتذكر ما حدث فيها من ذكريات وبطولات مشرفة حتى يفخر بها الجيل الجديد.

يقول جورج لوكاش في كتابه "الرواية التاريخية": "إن ما يهم في الرواية التاريخية ليس إعادة سرد الأحداث التاريخية الكبيرة، بل الإيقاظ الشعوري للناس الذين برزوا في تلك الأحداث، وما يهم هو أن نعيش مرة أخرى الدوافع الاجتماعية والإنسانية التي أدت بهم إلى أن يفكروا ويشعروا ويتصرفوا كما فعلوا ذلك تماما في الواقع التاريخي."[1]

أي أن التاربخ في الرواية لا يكتب جماليته من خلال سرد الأحداث فقط بل باستحضار الشخصيات التاريخية وما واجهها من صراعات ومعاناة دفعتهم لاختيار ذلك الطريق، فالكاتب يسعى إلى نقل القراء لعالم مختلف عن العالم الذي يعيشون فيه، ويجعلهم يعيشون نفس التجارب ويشعرون بها، مما يثري القصة ويخلق تفاعلا فكريا عاطفيا بين القارئ وعناصر الرواية (شخصيات، أحداث، زمان، مكان).

إن كل روائي له رؤيته الخاصة وأسلوبه في توظيف التاريخ في روايته، فلا يكتب التاريخ مرة فقط، بل إن كل رؤيا تكتب بطريقتها، وتفسر أحداثها بما يتناسب ومصالحها، وتعدد المواقف اتجاهه، وهكذا."[2]

[1] جورج لوكاش، الرواية التاريخية، تح: صالح جواد الكاظم، دار الشؤون الثقافية، العراق، ط2، 1986، ص63.

[2] عائشة بالطيب، الرواية والتاريخ عند واسيني الأعرج، مذكرة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2013-2014، ص03.

يتبن لنا من خلال هذا القول أن التاريخ هو واحد لكن سرده يختلف باختلاف الكتاب، فلكل كاتب خلفيته ورؤيته المختلفة عن الآخرين، مما يؤدي إلى تنوع كبير في الطريقة التي يتفاعل بها مع الأحداث التاريخية وكيفية توظيفها في قصته.

فنجد من الروائيين من يتناولون التاريخ في رواياتهم بشكل دقيق ومفصل وموثق مع الاعتماد على أساليب أدبية في عرض الوقائع، بشكل يؤثر في القارئ ويجذبه لإكمال الرواية ومعرفة ما سيحدث، وهناك من يفضلون التركيز على الأحداث التاريخية وجوانبها، وتأثيرها على الشخصيات وعلاقتها بعناصر النص الروائي دون إعطاء أهمية لجمالية الأسلوب الروائي في نقل التاريخ.

يعد مصطفى ولد يوسف من الروائيين الجزائريين الذين عالجوا فترات من التاريخ الجزائري في مؤلفاته، أسهم من خلالها في تقديم التاريخ بطريقة جذابة ومشوقة للتأثير في المتلقي واستمالته إليها، والغوص في قراءتها وتتبع الأحداث التاريخية الواردة فيها.

صاغ مصطفى ولد يوسف روايته "ليالي ذئاب القطبية" لتعالج مرحلة تاريخية مر بها المجتمع الجزائري، والتي تبدأ من بداية الحرب العالمية الثانية إلى استقلال الجزائر، ترويها الحاجة "ملحة" لحفيدها "توفيق"، وتعتبر أحداث هذه الرواية رصدا للواقع ونقلا له بصيغة فنية في محاولة لكشف الخيوط والعلاقات الداخلية للمجتمع وربطها بما يحدث وما حدث.

لقد اظهر الكاتب براعة كبيرة في السير والانتقال بأحداث الرواية، من خلال توظيف التاريخ على مستوى الأحداث والشخصيات المختارة بعناية، بحيث استهل روايته وهو يصف الحاجة "ملحة" بطلة هذه الرواية في قوله :" تجلس على حافة نهر ارتوى بدماء زكية، يجف في زمن النكران، قد تستنطق الحجر عن هؤلاء الذين ماتوا من أجل عودة الاخضرار لأرض جدباء احتبست فيها الابتسامات لعهود

طويلة، وكل الفرح المهرب من شقاء الحياة وشطف الوجود كان مجرد أمنية في رحيل الغراب الجاثم عليها وهو موجود بالموت والذباب."[1]

فالروائي هنا يقدم لنا شخصية "ملحة" في قالب سردي يلخص محتوى الرواية، فالحاجة "ملحة" التي تجلس على حافة نهر سقي بدماء المناضلين، جعلت الكاتب يتأسف على وضعها المنسي، فحجارة الأرض تشهد على نضالها مع إخوانها في الجبال ضد مستعمر استولى على الأخضر واليابس، ومنع عنهم الفرحة والحياة والتحرر، فشبهه بالغراب الجاثم، فأسلوب مصطفى ولد يوسف هنا جعلنا نفهم مضمون الرواية والفترة التي يتحدث عنها، مما يدفعنا إلى التعمق أكثر والبحث عن قصة تلك العجوز "ملحة."

إن توظيف الحادثة التاريخية في رواية "ليالي الذئاب القطبية"، كان توظيفا فنيا جماليا مؤسسا على التصحيح، فقد تطرق الروائي إلى أحداث تاريخية وتأثيرها في مسارات الرواية، فعلى سبيل المثال صور لنا مصطفى ولد يوسف المجازر التي وقعت في خراطة بتاريخ 8 ماي 1945 فيقول:" ففي مدينة خراطة تنفذ مجزرة مروعة في حق الأبرياء خلسة والعالم يرقص على أشلاء النازية المنحدرة."[2]

وتعود قصة هذه المجازر إلى خروج الجزائريين للاحتفال بالنصر والاستقلال بعد وعود فرنسا لهم، فقوبلوا بالقتل والتنكيل والتعذيب وهو ما ورد على لسان الشاهد الذي حضر للأحداث ورواها لسكان القرية، فيقول:" وجدت نفسي وسط الأنفار من بني جلدتي نساق كالقطيع إلى مكان يدعى سد "شعبة الآخرة"، الواقع عند مخرج المدينة، ولا أتذكر جيداً ما حدث بعد ذلك."[3]

[1] الرواية، ص07.

[2] الرواية، ص19.

[3] الرواية، ص20.

وقد تميز أسلوبه وهو يروي هذه الحادثة بالتفصيل الدقيق والوقوف على أصغر النقاط فيها، من وصف لحالة السكان وهم يتناقلون الأخبار إلى خوف "القايد" من تصديقهم له، ثم مجيء "لحلو" وسرده لما جرى من مجازر بكل دقة في محاولة لتصحيح ما يشاع هنا وهناك، وهذا ما يضفي على السرد التاريخي مصداقية وجمالية فنية تمكن القارئ من التعرف على الحقائق كما هي بأسلوب لا يجعله يحس بالملل.

من جماليات السرد الروائي للتاريخ، المماطلة واستعمال عنصر التشويق، حتى يبتعد الكاتب عن جفاف المادة التاريخية، ولا يتشابه عمله مع عمل المؤرخ الذي ينقل الحادثة التاريخية كما هي، ونجد هذا ينطبق على رواية "ليالي الذئاب القطبية" التي احتوت على عنصر التشويق بشكل كبير خاصة عندما يتعلق الأمر بنقل الأخبار إلى سكان القرية، فعند اندلاع الثورة التحريرية ليلة الأول من نوفمبر 1954، استيقظ الناس متعطشون لمعرفة ماذا جرى، فيقول الراوي:" ماذا حدث!!!...الكل يترقب آخر الأخبار...سمع دوي رصاص هنا وهناك...في عزازقة...تيقزيرت، ذراع الميزان، ليلة البارحة، بعد منتصف الليل تحديدا...ماذا يحدث بالضبط؟!!... لقد تم مهاجمة الكولون وعملائهم، وقد أربكت هذه العمليات التي شملت جميع مناطق الوطن فرنسا، التي استيقظت مفزعة...قالوا إن شخصاً يدعى كريم بلقاسم هو الذي قاد العمليات العسكرية الأولى في منطقتنا."[1]

والكاتب هنا يحاول تشويق القارئ لما حدث وما الذي يشغل بال السكان، فعنصر التشويق هو من العناصر المهمة التي تحاول الحفاظ على انتباه القارئ وتحفزه على مواصلة القراءة، وتزرع فيه رغبة في معرفة ماذا سيحدث في باقي الرواية، والمطلع على رواية "ليالي الذئاب القطبية"، بعد قراءته لهذا

[1] الرواية ص 53.

النص، سيسعى لإتمامها حتى يعرف مصدر ذلك الرصاص الذي سمع وفي منتصف الليل، وما هي ردة فعل فرنسا وهل سينجح "كريم بلقاسم" ومحاربيه في عملياتهم وهل ستدوم.

وتكمن جمالية التشويق في أنه يضيف للرواية إثارة تجعل القارئ يشعر بالمتعة والحماس خلال قراءته لها.

وأخيرا فإن جمالية توظيف التاريخ في الرواية تتحقق من خلال ثقافة الروائي وخلفيته وكيفية نقلها للقارئ، "فالروائي الجزائري هو الآخر نهل بنهم شديد من مخزونه المينتولوجي وأفاد منه في مرجعياته التراثية الخالدة...التي أثرت كثيرا على عمله الروائي، إما على المستوى الجمالي أو الفني، بحيث وفرت له بناء هندسيا محكم الصرح أو حتى على مستوى الموضوعات بحيث تكشف مادة غزيرة مدعمة لفكرة الإيهام الواقعي، لتعميق المضامين وتجميلها باعتبارها وسيلة مساهمة في تشكيل جماليات الفن."[1]

أي أن الكاتب يستفيد من التراث الثقافي والتاريخي للمجتمع الذي ينتمي له، ويوظفه في أعماله الأدبية، حتى يساهم في تعميق فهم القارئ لتلك الأحداث التاريخية بأسلوب لغوي مميز.

فهم القارئ لتلك الأحداث التاريخية بأسلوب لغوي مميز.

[1]الطاهر بلحية، الرواية المصرية الجديدة من الميتولوجي إلى ما بعد الحداثة، جذور السرد العربي، ابن نديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2017، ص147.

خـــــــاتـمـة

خاتمة:

بعد معالجتنا لقضية تجليات التاريخ في رواية "ليالي الذئاب القطبية" للروائي مصطفى ولد يوسف، والتي حاولنا من خلالها تقديم بعض الأطر النظرية والتطبيقية لدراستنا الموسومة ب :" تجليات التاريخ في رواية ليالي الذئاب القطبية"، خلصنا إلى بعض النتائج الإجرائية التي أفصحت عن الزخم المعرفي الذي حضي به موضوعنا، وهي كالتالي:

– يعنى علم التاريخ بدراسة الوقائع والأحداث التي حصلت في الماضي، وتحليلها والوصول إلى استنتاجات عبرها، من أجل فهم الحاضر.

– تعد الرواية نصا سرديا يقوم على مجموعة عناصر متكاملة وهي الزمن، المكان، الشخصيات والحدث.

– إن العلاقة بين الرواية والتاريخ هي علاقة تكاملية، فالرواية تنقل لنا أحداثا وقضايا تاريخية وتساعد في توثيقها للأجيال القادمة.

– يتداخل الواقع والمتخيل في الرواية الجزائرية، بحيث أن الواقع هو الذي يستلهمه الروائي من الحياة الطبيعية بينما المتخيل هو ما يشكله لنفسه من أحداث تفوق الواقع وتتجاوزه.

– حضر التاريخ بشكل ملحوظ ومباشر في الرواية الجزائرية، بحيث حاول الروائيون نقل الحقائق التي غابت عن الجميع، ومن بين هؤلاء الكتاب نذكر: محمد ديب، كاتب ياسين، مولود فرعون..الخ.

– يعد مصطفى ولد يوسف من الروائيين الجزائريين الذين فرضوا أنفسهم على الساحة الأدبية ولقيت أعماله رواجا بين الجمهور.

– جاءت رواية "ليالي الذئاب القطبية"، لتعبر عن معاناة الشعب الجزائري إبان الإستعمار الفرنسي.

– نقل لنا الروائي من خلال العتبات النصية للرواية من غلاف وعنوان صوت التاريخ الجزائري من خلال الألوان التي استعملها والخط الذي كتب به والصورة المصاحبة لهم حتى يعكس لنا الحقبة الزمنية التي يقصدها في قالب جمالي مميز.

– عرض لنا الكاتب من خلال رواية "ليالي الذئاب القطبية" مجموعة متنوعة من الشخصيات منها الرئيسية ك"ملحة" والثانوية ك: بوعلام، آكلي، سليمان، تاجر المواشي.

– حضر التاريخ الجزائري في الرواية من خلال "مجازر 8 ماي 1945" والتي راح ضحيتها أكثر من 45 ألف شهيد، ويروي لنا المؤلف هذه الحادثة على لسان شخصياته بكل تفصيل، كما نجد التاريخ العالمي وتمثل في الحرب العالمية الثانية التي شارك فيها الجزائريون ومنهم "بوعلام" الذي يعكس من خلاله الراوي شخصية الجزائري المناضل الذي حارب حتى لقي حتفه في إحدى المعارك ومات شهيدا.

– يسعى الروائيون الجزائريون من خلال توظيف التاريخ في كتاباتهم إلى إحياء أمجاد الماضي، واستذكار البطولات المشرفة التي قام بها الشعب الجزائري.

– إن لكل كاتب طريقته في توظيف التاريخ، وقد أظهر مصطفى ولد يوسف براعة في ذلك، من خلال معالجته لفترة من فترات التاريخ الجزائري وقدمها بطريقة مشوقة تجعل المتلقي يتأثر بها ويغوص في أعماقها.

وفي الأخير نرجو أن يكون موضوع بحثنا هذا موضع اهتمام لباقي الدارسين وسيظل مجال البحث مفتوحا لمن أراد الإثراء.

خاتمة

والحمد لله رب العالمين الذي وفقنا وأعاننا على إنجاز هذا البحث، ونتمنى النجاح والتوفيق لنا وللجميع.

قائمة
المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، اسطنبول، ج1.

- أبو الحسين احمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1982.

- بطرس البستاني ، محبط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت ، دط، دس.

- جمال الدين المكرم ابن منظور، لسان العرب، ج1، دار صادر، بيروت، ط1، 1414هـ.

- الجوهري، مختار الصحاح، تح: احمد عبد الغفور عطار،ج1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1987.

- الخليل بن احمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، ج2، 2003.

المراجع:

أ- الكتب:

- مصطفى ولد يوسف، ليالي الذئاب القطبية، المثقف للنشر والتوزيع، الجزائر، دت.

- إبراهيم عبد الله، موسوعة السرد العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ج1، 2008.

- ابن خلدون، المقدمة، تح: عبد الواحد وافي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دار النهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 2006.

- احمد أبو السعد، فن القصة، منشورات دار الشرق الجديدة، ج1، 1959.

- احمد عبد الكريم، اللون في القرآن والشعر (دراسة)، جمعية البيت للثقافة والفنون، الجزائر، 2010.

- احمد محمد عبد الخالق، الأبعاد الأساسية للشخصية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، دت.

- أحمد مصايف، الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام، الدار العربية للكتاب، تونس، 1983.

- ادوارد خراط الرواية العربية واقع وآفاق، دار ابن رشد، ط1، 1981.

- آمنة بلعلي، المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، (من التماثل إلى المختلف)، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر،ط2، 2011.

- أمينة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيقي، دار الجوار للنشر، سوريا، ط1، 1987.

- جورج لوكاش، الرواية التاريخية، تح: صالح جواد الكاظم، دار الشؤون الثقافية، العراق، ط2، 1986.

- حسن سالم هندي إسماعيل، الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث، دار حامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2014.

- حسين حميد، تداخل النصوص في الرواية العربية (بحث في نماذج مختارة)، مطابع الهيئة المصرية، مصر، دط، دت.

- حسين خمري، مقاربات في الرواية، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2002.

- خليل شكري، القصيدة السير ذاتية، بنية النص وتشكل الخطاب، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010.

- شعيب حليفي، شعرية الرواية الفانتاستيكية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر،ط2، 2009.

- الطاهر بلحية، الرواية المصرية الجديدة من الميتولوجي إلى ما بعد الحداثة، جذور السرد العربي، ابن نديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2017.

- طريف الخالدي، بحث في مفهوم التاريخ ومنهجه، دار الطبعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1982، ص7.

- ظاهر محمد الزواهرة، اللون ودلالته في الشعر، دار حامد، عمان الأردن، ط1، دت

- عبد العاطي شلبي، فنون الأدب الحديث، منحل الاراريطة، الإسكندرية، 2005.

- عبد اللطيف السيد الحديدي، الفن القصصي في ضوء النقد الأدبي، القاهرة، مصر ط1، 1996.

- عزيزة مريدن، القصة والرواية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،1971.

- فاتن عبد الجبار جواد، اللون لعبة سيميائية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 2009.

- فيصل دراج، الرواية وتأويل التاريخ، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 2004.

- قاسم عبدو قاسم، بين الأدب والتاريخ، دار عين للدراسة والبحوث الإنسانية والاجتماعية، دب، ط1، 2007.

- قاسم يزبك، التاريخ ومناهج البحث التاريخي، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1990.

- لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة ناشرون،لبنان، ط1، 2002

- ليلى الصباغ، دراسة في منهجية البحث التاريخي، مطبعة خالد ابن الوليد، دمشق، سوريا، 1978.

- محمد القاضي، الرواية والتاريخ، دار المعرفة، تونس، ط1، 2008.

- محمد بوعزة، تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة،ط1، 2010.

- محمد داود فائزة، على أجنحة الخيال وفي أدغال السرد، وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط1، 2014.

- محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2002.

- محمد يوسف نجم، فن القصة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، دط، دت.

- مصطفى ولد يوسف، ليالي الذئاب القطبية، المثقف للنشر والتوزيع، الجزائر، دت.

- نجوى الرياحي، الوصف في الرواية العربية الحديثة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، ط1، 2007.

- يوسف الإدريسي، الخيال والمتخيل في الفلسفة والنقد الحديثين، الملتقى ، الدار البيضاء، ط1، 2005.

ب- المراجع المترجمة:

- روزختال، علم التاريخ عند المسلمين، تر: صالح احمد العلي، مؤسسة الرسالة بيروت ط2، 1983.

- ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، تر: محمد براءة ، دار الفكر، القاهرة ، دط، 1978.

- هرنشو، علم التاريخ، تر: عبد الحميد العبادي، دار الحداثة، بيروت، ط2، 1982.

ت- الرسائل الجامعية:

- ايمان بن عمر، العتبات النصية في كتاب "الجيد حقيبة الشعر" للكاتبة غادة السمان، مذكرة ماجستير، جامعة حمه لخضر، الوادي، الجزائر، 2019-2020.

- بلغربي خديجة، زنيق نريمان، توظيف التاريخ في رواية رماد الشرق لواسيني الأعرج، مذكرة ماستر، جامعة محمد الصديق بن يحي، جيجل، تخصص أدب عربي حديث، 2020-2021.

– بن حمو كمال، المتخيل والتاريخ في الرواية الجزائرية، مذكرة ماستر، جامعة أبو بكر بلقايد، تخصص أدب عربي حديث، 2018–2019.

– صديقي حفصة، الواقع المتخيل في رواية "رمل الماية"، مذكرة ماستر، جامعة عبد الرحمن ميرة، بجاية، تخصص أدب عربي ، 2014–2015.

– عائشة بالطيب، الرواية والتاريخ عند واسيني الأعرج، مذكرة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2013–2014.

ث– المقالات:

– إبراهيم سعدي، دراسات ومقالات في الرواية، منشورات السهل، 2009.

– السعيد زعباط، السرد وسلطة اللغة في رواية كتاب الأمير، مسالك أبواب الحديد لواسيني الأعرج، مجلة النص، منشورات جامعة جيجل، العدد 10، ديسمبر 2011.

– رشيد بن حدو، الفضاء الروائي بين الواقع والمتخيل، المجلة العربية، الدار العربية للنشر والترجمة ، العدد527، الرياض، السعودية، 2010.

– ريمة كعبش، الرواية والتاريخ في النقد الجزائري المعاصر، مجلة التناص، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد الصديق بن يحي، جيجل، العدد 16، ديسمبر 2014، ص117.

– مجموعة مؤلفين، أبحاث في اللغة العربية والأدب الجزائري، مجلة المخبر، مجلد 17، ع 01، 2021.

ملاحق.

الملحق الأول: التعريف بالروائي مصطفى ولد يوسف.

هو روائي وقاص أكاديمي جزائري، من مواليد 12 أكتوبر 1967 بعين الحمام، ولاية تيزي وزو، يشغل منصب أستاذ التعليم العالي بجامعة محند اولحاج بالبويرة.

يتميز أسلوب هذا الراوي باستقصاء الواقع ومن ثم تقديمه في شكل تخييلي، من خلال المعالجة الفنية مع التنوع السردي، كما يغلب على أعماله طابع الحداثة.

من أهم أعماله:

- أوجاع الخريف (رواية) 2011.
- رحلة الواهم المجهول(رواية) 2015.
- غثيان الغائب (رواية)2012.
- المراوغ ورقصة الألوان (رواية)2017.
- ضباب آخر النهار (رواية)2018.
- أدغال البحر والشراب (رواية) 2020.
- مدن الصحو والجنون (رواية)2019.
- الرسم على الجرح الأبكم (مجموعة قصصية) 2010.
- حكت لي العرافة (مجموعة قصصية) 2022.

كما له بعض الأعمال الأكاديمية مثل:

- من أعلام الرواية الجزائرية مولود معمري ومولود فرعون ومحمد ديب في عزلته 2012.
- في نقد متخيل الاختزال السردي 2019.
- أنظمة الخطاب الروائي 2021.
- شعرية الهامشي وأسئلة المقايسة والاقتصاد السردي (من الأدبية إلى الثقافية) 2021.

الملحق الثاني: ملخص رواية " ليالي الذئاب القطبية".

تدور أحداث رواية "ليالي الذئاب القطبية" لمصطفى ولد يوسف حول المناضلة التي تدعى "ملحة"، فبينما هي جالسة تستذكر الماضي يسألها حفيدها عن سنوات نضالها خلال الثورة التحريرية الجزائرية، فترويها له من البداية.

فملحة التي ولدت في قرية جبلية وعانت من الجوع والمرض كباقي العائلات، أخذتها الراهبات إلى المستشفى لتتلقى العلاج اللازم حتى تشفى من مرض "السل"، وبعد شهور عادت إلى قريتها لكن عودة الأوبئة مرة أخرى جعل الراهبات يعدن للاطمئنان على الأطفال، ومن بينهن "بريجيت" التي سبق لها وأن اهتمت بملحة من قبل، فطلبت من أهلها أن يسمحوا لها بأخذها للدراسة والمبيت في المستشفى، وافق والدها، لكن أمها ترددت وخافت أن تصبح ابنتها راهبة نصرانية، لكنها أيقنت أن هذا أفضل لها من الجوع والمعاناة.

وقد زاد الخوف من الراهبات بعد انتشار قصة "ذهبية" أو الأخت "دوري"، التي باعها والدها لراهب يدعى جوزيف، فجعلها نصرانية وراهبة، وأصبحت تأتي للقرية باستمرار لنشر المسيحية انتقاما من والدها على ما فعله، فغضب الإمام من عملها وأمر بطردها من القرية ونبهها بأن الرهبان يستعملونها لصالح فرنسا ودوافع سياسية، لكنها لم تصدق حتى سمعت والدها الروحي "جوزيف" يتحدث عنها بصفتها عميلة، فغضبت واختفت عن الأنظار إلى أن وجد هيكلها العظمي في احد المزارع، لم يتحققوا منها لكن وفاة والدها في لحظتها من صدمته جعل الناس يتأكدون من هويتها ويدفنوها في القرية.

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، أعلن "القايد" انتصار فرنسا وهو يوزع الحلوى، لكن مجندا جزائريا سابق أخبره وسط الحشود بأن فرنسا تقتل الجزائريين في المدن، مما أربك "القايد" وجعله يكذب الخبر، لكن تاجرا يدعى "لحلو" كان شاهدا على المجازر، جمع الناس حوله وحكى لهم ما حدث بالتفصيل، فثار الغضب في نفوس سكان القرية خاصة شبابها.

ومن هؤلاء الشباب آكلي، والذي كان شابا ثائرا في داخله لا يتردد في إلقاء أبيات من أشعار "سي محند أو محند" التي تتمرد على طغيان المستعمر، أحب فتاة تدعى تركية لكنها تزوجت، وكان له صديق يدعى فريد وآخر بوعلام، وكان هذا الأخير مجندا في الجيش الفرنسي وشارك في الحرب العالمية الثانية، ورأى من الظلم ما يكفي ليوقن بأن المستعمر لا ينظر إلى الجزائريين كبشر لهم حقوق، وإنما كعبيد لا فائدة من حياتهم، وعاد للقرية بعد نهاية الحرب.

انتشر الحقد على فرنسا في القرية وأصبحت أخبار أعداد الموتى تتزايد والقايد يكذب كلام "لحلو" يوميا، بينما يسير المجنون "تاي" يوبخ الناس وينادي للحرب والنضال يوميا، وفي ليلة من ليالي الشتاء سمع الرصاص في الضواحي المجاورة، فأدرك الناس أن الثورة قامت.

شكل بوعلام مجموعة من ثلاثون شابا من بينهم فريد، فعلمهم القتال وحرب العصابات وأصبح مطلوبا عند الجيش الفرنسي، وعند اكتشاف "آكلي" للأمر طلب منه أن يكون مخبرا للمجاهدين وينقل أخبار القرية والفرنسيين لهم، فقبل لكن عدم صعوده للجبل على غرار باقي الشباب جعل الإشاعات تنتشر حوله، إذا ما كان خائنا للوطن ووصل الأمر لوالده، فطمأنه آكلي وقرر البحث عن مصدر الإشاعة، وبعد تتبع وجد أن "مخلوف" زوج "تركية" هو الذي ينشر الأكاذيب وهو العميل الحقيقي في القرية، فأخبر المجاهدين بأمره ووجد مقتولا في إحدى المزارع.

بينما ملحة في المستشفى سمعت أن هناك زعيما جزائريا يدعى بوعلام في إحدى الغرف نائما في غيبوبته وعرفت بأنه ابن قريتها، فخططت لتهريبه بعد استيقاظه قبل أن يقوموا بتعذيبه حتى الموت، ونجحت في ذلك، أخبرها بوعلام بأنها أصبحت مجاهدة تعمل معهم فانتابها الفخر والاعتزاز بذلك، وصعدت للجبل معهم وتعرفت على مليكة، وهي ممرضة تعالج المصابين من المجاهدين.

اعتادت ملحة على حياة الجبل وصعوباتها فلم تجد سوى كتابة يومياتها على دفترها، لتهرب من قسوة الطبيعة، فكتبت عن مرضها وعن الجرحى وما واجهوه من كمائن وضربات من الجيش الفرنسي والمعارك التي خاضوها ضده، حيث أصيب الكثير منهم، واضطروا لتغيير المكان عدة مرات.

تعرفت "ملحة" على سليمان وهو صانع قنابل معسكر المجاهدين، كلف بمهمة تفجير القوافل الفرنسية القادمة لتمشيط المنطقة فتم ذلك وأردوهم قتلى واستولوا على أسلحتهم، لكن إدراكهم بقدوم الجيش الفرنسي جعلهم ينقسمون إلى مجموعات والافتراق، واتجهت ملحة مع سليمان إلى العاصمة، واستشهد بوعلام وفريد، بينما آكلي استدعاه القايد الذي كشف أمره، ثم اختفى ولم يعد.

تزوجت ملحة مع سليمان بعد الاستقلال، وبقي آكلي مختفيا وأمه تبحث عنه، إلا أن وجدت جثته وتعرفت عليه والدته من خلال قشابيته، فعلمت أن ابنها مات شهيدا، وأقيمت له جنازة حضرها المناضلون وأهل القرية، فتقدم سليمان وأخبر الناس أن آكلي كان مجاهدا مسبلا في السر.

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات.

إهداء.....

شكر وتقدير.....

مقدمة.....

الفصل الأول: التاريخ وفن الرواية.

1- التاريخ وفن الرواية.....6

1-1- مفهوم علم التاريخ.....6

أ- لغة.....6

ب- اصطلاحا.....7

ت- علم التاريخ.....9

1-2- مفهوم الرواية.....11

أ- لغة.....11

ب- اصطلاحا.....12

2- الرواية والتاريخ في الأدب الجزائري.....15

2-1- تعريف الرواية الجزائرية.....15

2-2- العلاقة بين التاريخ والرواية.....18

3- الرواية الجزائرية من الواقع إلى المتخيل.....22

3-1- بين الواقع والمتخيل.....22

أ- تعريف الواقع.....22

- لغة.....22

- اصطلاحا.....23

ب- تعريف المتخيل.....24

- لغة.....24

- اصطلاحا.....24

ت- بين الواقع والمتخيل.....26

3-2- بين المؤرخ والروائي.....27

الفصل الثاني: صوت التاريخ في رواية ليالي الذئاب القطبية.

1- العتبات النصية ومساءلة التاريخ.....31

1-1- عتبة الغلاف.....31

1-1-1- دلالة عتبة الغلاف الأمامي.....33

1-1-2- دلالة عتبة الغلاف الخلفي.....37

1-2- عتبة العنوان.....39

1-2-1- دلالة عتبة العنوان.....41

2- التاريخ والمتخيل في الشخصيات الروائية.....44

2-1- الشخصيات الرئيسية.....47

2-2- الشخصيات الثانوية.....49

3- أشكال حضور التاريخ في الرواية.....55

3-1- التاريخ الجزائري (8 ماي 1945)..... 55.

4- التاريخ العالمي (الحرب العامية الثانية).....58

5- جماليات توظيف التاريخ في الرواية.....62

خاتمة.....68

قائمة المراجع.....72

الملاحق.....79

فهرس الموضوعات.....84